لقاء مع الأبرار

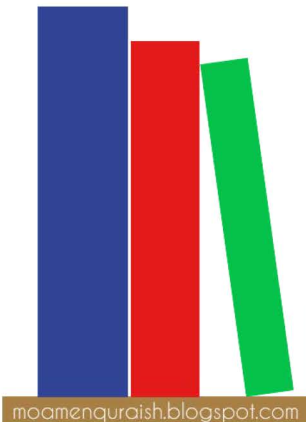
«١٠»

السيّد حسين القمي

رجل الثورة

تأليف محمد باقر پور أميني

ترجمة كمال السيّد



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه .

الإمام الصادق (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء مع الأبرار

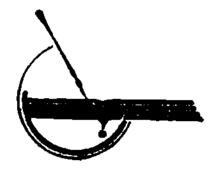
«١٠»

السيّد حسين القمي

رجل الثورة

تأليف محمد باقر پور أميني

ترجمة كمال السيّد



ايران ـ قم ـ شارع الشهداء
مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
ص . ب ١٨٧ ـ هاتف ٧٤١٧٤٤

اسم الكتاب :	السيّد حسين القمي رجل الثورة
المؤلف :	محمد باقر پور أميني
المترجم :	كمال السيّد
صفّ واخراج :	محمّد افتخاري ـ تلفون ٦١٩٤٠٣
المطبعة :	صدر
الطبعة الاولى :	١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م
الناشر :	مؤسسة أنصاريان
عدد المطبوع :	٣٠٠٠

المحتويات

انبعاث الحوزة العلمية في كربلاء

المرجعية العامّة

الفصل الرابع (في ساحة الصراع)

التهديد باعلان الحرب

الفصل الخامس (في مرآة الاخلاق)

كلمة الناشر

عديدة هى الطلبات التي تلقّتها مؤسسة أنصاريان سواء عبر الهـاتف أم خلال رسائل القرّاء الكرام، وكلّها كانت تدور حول كتب تتحدث عن حياة العلماء من الذين كان لهم دور مشرق في عالم الفكر و دنـيا العـلوم، وقـد عكفت المـؤسسة عـلىٰ دراسـة المـوضوع بـاهتمام، اسـتجابةً للـرغبات المخلصة المتعطشة للثقافة الإسلامية ورموزها.

واذ تقدم «أنصاريان» سلسلة ـ لقاء مع الأبرار ـ فإنّها تـتمنىٰ أن تـلقىٰ الرضا والقبول من لدن جميع القرّاء الكرام، والله الموفّق.

مؤسسة أنصاريان

تمهيد

يقوم الهجوم الثقافي علىٰ دعامتين؛ الأولى: تـحقير الثـقافة الأصـلية، والثانية: التهويل للثقافة البديلة والغريبة في نفس الوقت. ومن خلال هـذا الاستلاب الثقافي واحتقار الثقافة العريقة يشعر الشعب بحالة من الصـغار تجاه الآخرين، غافلا عن ثقافته وما تحويه مـن الكـنوز الثـرّة، مسـتجدياً الغرباء، عارضاً حضارته وتمدّنه بثمن بخس.

ولقد عمل النظام البهلوي البائد علىٰ تكريس هذه السياسة في التعامل مع الغرب كالٰه للحضارة والمدنية والفن بل وحتىٰ الأخلاق والدين، وطرح الشرق باعتباره مثالاً للوحشية، والتخلف، وفي أحسـن الأحـوال: العـالم الثالث عالم الدول النامية؛ ولقد نجحت تلك السياسات الشيطانية إلىٰ حدّما وأصبح الغرب فى نظر الكثيرين ـ خاصة الشباب ـ يمثّل العالم الحرّ المنافح عن حقوق الإنسان والمدافع عن الديمقراطية والحرّية.

ولكن وكما يقال فإنّ الشمس لا تبقىٰ خلف الغـيوم إلىٰ الأبـد، وبـدت الحقائق واضحة وبدأ عهد الصحوة الإسلامية.. العـهد الذي يـتّسم بـعودة

الجيل الحاضر إلىٰ فطرته وقرآنه وعقيدته ورموزه.

وبالرغم من هذه الاشراقة التي تبشر بالخير الوفير فإنّ حالة الاستلاب الفكري وفي كثير من المجالات الحساسة ماتزال تعاني ذيول التأثيرات الغربية.

فما تزال شهادات الغرب تخطف أبصارنا، ومايزال الدواء الذي لا يحمل اسماً غربياً طناناً، عديم التأثير والفائدة، ومايزال الكثير من مظاهر الثقافة الغربية متغلغلاً بل ومتجذّراً في تربتنا، ومايزال الغرب يختار لنا الزي الذى نلبسه، ويعيّن نوع المداليات التي تمنح كجوائز للفائزين، وننتظر منه حتىٰ الجوائز الأدبية التي يسيل لها لعاب الكثيرين. ولكن هل من الصحيح أن نعدّ الغرب مثالاً؟ الغرب الذي ظهر علىٰ حقيقته بشعاراته الجوفاء.. وبدعاواه الفارغة في الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان.

لماذا هذا الشعور بالنقص تجاه جلاّدي القرن الخامس عشر الهجري؟!

فالغرب الذي يمنح جوائزه «الأدبية» إلىٰ عديمي «الأدب» من أمثال سلمان رشدي، في الوقت الذي يصدّر أو امره بحرمان الطلبة المسلمين من الإشتراك فى أولمبياد الفيزياء، مازلنا ننظر إليه كمثال، بالرغم من تمييزه العنصري المقرف.

ان علىٰ العالم الاسلامي أن يسعىٰ بجدّ إلىٰ تشكيل «نظام دولي إسلامي» وأن يقطع كل آماله من شعارات الغرب في الديمقراطية والحرّية والدفاع عن حقوق الإنسان.

وهل هناك أمل ونحن نشهد ماجرىٰ ويجري في الأرض الإسلامية في «البوسنة والهرسك» و «الجزائر» و «فلسطين»؟ وليعلم كل من يهمه أمر المسلمين أنه لا ملجأ إلاّ في العودة إلىٰ أحضان القرآن وظلاله الوارفة.

و «لقاء مع الأبرار» خطوة في الطريق ـ طريق العودة الىٰ الذات من خلال الإشارة إلىٰ نجوم الفكر الإسلامي.. اولئك العمالقة الكبار الذين تضيع فى عوالمهم وآفاقهم الرحبة زعماء العقائد الأخرىٰ ومفكروها.

ان أشدّ مايرهب الغرب ويرعبه، هو عودة الأمّة الىٰ هوّيتها.. إلىٰ رموزها.. إلى اولئك الذين مهّدوا من خلال جهودهم المتظافرة طريق الإسلام اللاحب.

ولقد أخذت «لقاء مع الأبرار» عهداً علىٰ استكشاف معالم سبعين كوكباً مضيئاً في سماء الفكر الإسلامي، وتقديمهم معالم منيرة في طريق البناء.. بناء الحضارة الإسلامية من جديد.

قم ـ مؤسسة باقر العلوم للبحوث

مقدمة المترجم

كان أمة في رجل، وضميراً في امّة، ومن القلائل الذين تصدّوا لمنازلة الظلم، وسلاحهم الوحيد الايمان بالله.

لم يكن يفكّر في العواقب، وهو يعلن صرخة الحق ضد الباطل أو يرفع راية العدل في مهبّ عاصفة الظلم.

هكذا كان القمي الذي قُدِّر له ان يعيش في عهدِ واحدٍ من اعتىٰ طواغيت الارض.

لقد كان «رضاخان» يمثّل الدكتاتورية التي لا تعرف غير ارادتها.. رجلٌ فظٌّ غليظ القلب، رأىٰ فيه الانكليز الأداة التي ستنفِّذ سياستهم لهذا تحول من قائد لفرقة القوزاق الىٰ وزير للدفاع، الىٰ رئيس الوزراء، ثم مَلِكٍ مطلق لا يعرف قيمة للدستور[1] بل وحتىٰ ثقافة البلاد.

---

(١) من المدهش أن نعرف أن «رضاخان» كان قد تقدَّم اثناء وزارته الىٰ البرلمان

كان «رضاخان» يحاول قسراً سلخ البلاد عن أعظم وأثرىٰ موروث تؤمن به؛ وهو الدين، واضعاً نصْبَ عينيه «أتاتورك» وهو يسوق بلاده نحو الغرب.

ومن هنا فإنّ جلاداً كهذا لا يواجَه الاّ بالصلابة التي لا تعرف في الحق لومة لائم، وكان القميُّ الرجلَ الذي اُدّخره القدَر للوقوف بوجه العاصفة.

وتكمن قوّة «القمي» في تلك الارادة التي لا تعرف غير الحق، وذلك الايمان العميق الذي طبع قلبه فأولده قانوناً اخلاقياً دقيقاً يوجّه مسيرته في خط مستقيم.

عاش ثائراً، وظل زاهداً في بهارج الدنيا.وعندما اصبح مرجعاً عامّاً للطائفة راح يتمنّىٰ الموت حزيناً،يحذر الآخرةَ ويرجو رحمة ربّه. وبين الثورة والزهد والتقوىٰ والأمل بما عند اللّه، انطوت حياة القمي لتبقىٰ ذكراه خالدةً علىٰ مرّ الأيام.

كمال السيد

بمشروع حول إلغاء الملكية وإقامة نظام جمهوري، وكان الشهيد حسن مدرِّس قد عارض مشروعه بشدّة، لعلمه بأنه مجرّد أداة في أيدي الانكليز.

الفصل الأوّل

الميلاد

الميلاد

كانت أسرة الحاج سيد محمود تسكن في إحدىٰ محلات مدينة قم المقدسة ؛ تنتظر إطلالة وليد جديد من ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي ٢٨ رجب سنة ١٢٨٢ هـ[١] أطلّ على الدنيا صبيّ قُدِّر له أن يُسهم في صنْع حقبة تاريخية حساسة. ولا غرو فقد كان يحمل اسم الثائر العظيم «الحسين» عليه السلام.

أسرته

وتعدّ أسرته من الأسر العريقة المتديّنة. وينتسب السيد حسين الى الامام الحسن المجتبى عليه السلام، اضافة الى ان شجرة نسبه تضمّ العديد من الأسماء الكبيرة في التاريخ؛ من قبيل ابراهيم ابن طباطبا الثائر العلوي المعروف.

أبوه الحاج سيد محمود من التجار المتديّنين المحسنين.[٢]

---

(١) عنصر فضيلت و تقوى ، ص ١٣

(٢) الفوائد الرضوية ، ص٣

وله اشقاء أربعة كان لهم شأن كبير في دنيا العلم والمـعرفةالاسـلامية ؛ وهم كلّ من:

سيد ابو القاسم: الذي أمضى فترة طويلة في مـدينة سـامراء؛ درس أثناءها على يد المرجع الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي، كـما تـتلمذ لدى آيةالله السيد كاظم الطباطبائي. توفّي سنة ١٣٢٠ هـ.

سيد أحمد: وقد استوطن النجف الاشرف ودرس على يدي آية اللـه الميرزا حبيب الرشتي، ثم عاد الى مدينته قم، وقضى بقية عمره في الوعظ والارشاد وإمامة المصلّين فـي الصـحن الجـديد لمـرقد العـلوية فـاطمة «المعصومة» عليها السلام . توفّي سنة ١٢٣٤ هـ

سيد ابراهيم: هاجر الى المدينة المنوّرة ومكة المكرّمة، وأقام فـيهما مدة طويلة، ثم انتقل الى كربلاء المقدّسة [١].

سيد فخر الدين: وكان أحد علماء عصره ايضاً [٢].

---

(١) نقباء البشر ج١ ص٢٣.

(٢) نقباء البشر ج١ ص٧٥.

عشّ آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

تعدّ مدينة قم المقدسة من المدن الاسلامية العريقة، ولعلها المدينة الايرانية الوحيدة التي احتضنت فكر آل البيت عليهم السلام في عهود مبكّرة جداً. وربما تعود أسباب تشيّع المدينة منذ ذلك الوقت الى تأثّر بعض علمائها وزعمائها بأخلاق أهل البيت عليهم السلام أثناء رحلاتهم في طلب العلم آنذاك.

وهكذا برزت مدينة قم كواحدة من أبرز مراكز الثقافة الاسلامية، ومدرسة كبرى خرّجت آلاف العلماء والفقهاء على مرّ العصور.

وفي العصر الحديث رفعت هذه المدينة المجاهدة لواء الاسلام عالياً، وخفقت راية الثورة في سمائها، ثم دخلت التاريخ من أوسع أبوابه عندما قاد الامامُ الراحل واحدةً من أعظم الثورات الشعبية في تاريخ العالم ـ قديماً وحديثا.

وأضحت «قم» في الحادي عشر من شهر شباط سنة ١٩٧٩ عاصمة للثورة الإسلامية.

وماتزال قم كما كانت منذ العصور الخوالي عشاً لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما ورد في بعض الروايات.

وفي هذه المدينة وُلد «سيد حسين» واستنشق في سمائها روحَ الثورة.

الفصل الثاني

طلـب العـلم

أمضىٰ سيد حسين فترة صباهُ يطلب العلم في مدينة قم، ووجد في نفسه رغبة متأجّجة في الانتهال من ينابيع المعرفة الاسلامية، فطوىٰ مرحلة المقدمات في دراسة علوم الصرف والنحو والمنطق علىٰ ايدي اساتذة قم[1].

وفي تلك الفترة رافق اسرته لزيارة العتبات المقدسة في العراق حيث مراقد ستة من أئمة أهل البيت عليهم السلام اضافة الىٰ أضرحة الأولياء والصالحين في مدن عديدة مختلفة كالنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء.

واستأنف دراسته بعد عودته الىٰ مسقط رأسه في قم حتىٰ سن البلوغ.

الىٰ طهران

ومن أجل استكمال دراسته غادر قم الىٰ طهران حيث الحوزة العلمية في بداية تبلورها علىٰ أيدي اساتذة كبار. وفي العاصمة درس كتباً متعددة من قبيل «المعالم» و «شرح اللمعة» وغيرهما من كتب الفقه والأصول.

---

(١) اعيان الشيعة ج ٦ ص ١٦٩ .

أرض الوحي

وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره لبّىٰ نداء ابراهيم فتوجّه الىٰ أرض الوحي وربوع النبوّات عبر التاريخ؛ حيث مدينة مكّة مهبط آدم وأرض ابراهيم واسماعيل، وميلاد محمد وعلي، والأرض التي شهدتْ انبثاق الفجر الاسلامي الذي أضاء العالم بأسره.

والمدينة المنورة مدينة المهاجرين والأنصار، وأول عواصم المجد الاسلامي، وانطلاق الحضارة الاسلامية والتراب الطاهر الذي ضمَّ في حناياه جسدَ اعظم الانبياء وآخر النبوّات في التاريخ.

وهكذا فقد كان سيد حسين يطوف تلك الربوع ويستلهم ذكرياتها وأمجادها الخالدة.

في طريق العودة

وفي طريق عودته، عرّج سيد حسين علىٰ مدن العراق، حيث مراقد ائمة أهل البيت عليهم السلام، وكان وجود الميرزا محمد حسن الشيرازي[١] في مدينة سامراء حافزاً علىٰ توقّف سيد حسين في هذه المدينة، للانتهال من ذلك

---

(١) زعيم ثورة «التنباك» التي وجَّهت أعنف صفعة للسياسة الانكليزية في ايران، ولد في شيراز سنة ١٨١٠ م وتوفّي في سامراء سنة ١٨٩٥ ، ويعدّ الشيرازي واحداً من أعظم الشخصيات التي ظهرت في تلك الحقبة من الزمن. ـ المترجم.

النبع الصافي، فقد تتلمذ مدّة من الزمن الىٰ ان قرّر العودة سنة ١٣٠٦ هـ. أي قبل بداية حوادث «التنباك»[1] بعامين، وكانت الحوزة العلمية بطهران في بداية تشكلها وتبلورها على أيدي أساتذة كبار، وقد تتلمذ سيد حسين لدىٰ بعضهم؛ وهم:

- السيد علي المدرِّس، المتوفىٰ سنة ١٣١٠ هـ.
- الميرزا ابو الحسن جلوه، المتوفىٰ سنة ١٣١٤ هـ.
- الميرزا هاشم الرشتي المتوفىٰ سنة ١٣٣٢ هـ.
- الميرزا علي اكبر الحكمي اليزدي المتوفىٰ سنة ١٣٣٢ هـ.
- الشيخ علي النوري المتوفىٰ سنة ١٣٣٥ هـ.
- الميرزا ابو الحسن الكرمانشاهي المتوفىٰ سنة ١٣٣٦ هـ.

وقد درس سيد حسين في تلك الفترة الحكمة، والعرفان، والرياضيات،

---

(١) عرض الانكليز علىٰ ناصر الدين شاه أثناء زيارته لندن توقيع اتفاقية لاحتكار التبغ في ايران مدّة ٥٠ سنة اعتباراً من عام ١٨٩٠ في مقابل ١٥٠٠٠ باوند تدفعها بريطانيا سنوياً.

وقد أبدىٰ التجار استياءهم من هذه الاتفاقية، ثم حدثت مواجهات بين الشعب والشرطة، وتفاقمت الاوضاع، واتّسعت رقعة المعارضة، فأبرق الشيرازي إلىٰ الشاه ينصحه فيها بإلغاء الاتفاقية.

وقد حاول الشاه إقناع الشيرازي بأهمية الاتفاقية بمختلف الوسائل، ولكن المرجع الكبير أصرّ علىٰ موقفه، ثم أصدر فتواه التاريخية التي حرّمت استخدام التبغ، مما ادّىٰ إلىٰ انهيار الاتفاق المذلّ. ـ المترجم

اضافة الىٰ الفقه والاصول قبل أن يتوجّه الىٰ العراق مرّة أخرىٰ.

وقد توقف سيد حسين في النجف مدّة عشرة أعوام تتلمذ خلالها علىٰ أيدي اساتذة عديدين؛ في طليعتهم:

* الميرزا حبيب اللّٰه الرشتي
* السيد رضا الهمداني
* الملا علي النهاوندي
* الآخوند الخراساني
* السيد محمد كاظم اليزدي
* السيد احمد الكربلائي(١)

وفي عام ١٣٣١ غادر النجف الىٰ مدينة سامرّاء، وانتظم في دروس المرجع الكبير الميرزا محمد تقي الشيرازي(٢) قائد ثورة العشرين.

وعندما طلب أهالي مشهد من الميرزا محمد تقي أن يرسل لهم من يثق به من العلماء، اقترح الميرزا علىٰ السيد حسين ذلك، وقد لبّىٰ الأخير ذلك،

---

(١) اعيان الشيعة ج ٦ ص ١٦٩ ، دايرة المعارف بزرگ اسلامي ج ١ ص ١٥٢ .

(٢) وُلد في شيراز وهاجر الىٰ سامراء ودرس لدىٰ الميرزا محمد حسن الشيرازي، وتصدى الىٰ الزعامة الدينية بعد وفاة الاخير. وفي عام ١٩١٨ وعندما استكمل الانكليز قمع المقاومة الاسلامية، قرر العودة الىٰ كربلاء لوقف حالة التداعي التي عصفت بالجبهة الاسلامية؛ خاصّة بعد المواقف المحيّرة لآية اللّٰه اليزدي. وقد برز الميرزا محمد تقي الشيرازي كقائد سياسي كبير بعد اندلاع ثورة العشرين. وقد توفي بعدها بشهر ونصف، وفي ظروف غامضة ـ المترجم.

فتوجّه الىٰ مشهد بعد عشرة أعوام قضاها في مدينة سامراء[1].

وهكذا بدأ فصل جديد في حياة السيد حسين الذي بلغ الخمسين من عمره، حيث منح خلال دراسته الطويلة اجازات متعددة في الرواية والاجتهاد.

(١) تاريخ قم ص ٢٦٢ ـ اعيان الشيعة ج ٦ ص ١٦٩ .

الفصل الثالث

المـرجـعـيـة

في عام ١٣٣١ هـ، وصل السيد حسين القمي مدينة مشهد، ونهض بمسؤوليته في زعامة الحوزة العلمية إضافة إلىٰ الوعظ والارشاد وإمامة المؤمنين في الصلاة.

وقد كان القمي يمثّل ضمير الأمّة المتيقظ الذي يثور لدىٰ أية إهانة تمسّ كرامة الاسلام.

وتحول منزله الىٰ مدرسة خرّجت العديد من العلماء الذين كان لهم شأن في دنيا الاسلام. ومن ابرز تلامذته:

١ ـ الميرزا حسن البجنوردي:

ولد سنة ١٣١٦ هـ، في قرية «خداشاه» من توابع بجنورد، وفيها أنهىٰ دراسته المقدمات، حيث توجّه بعدها الىٰ مدينة مشهد، وانتظم في حوزتها مدّة ثلاثة عشر عاماً درس فيها لدىٰ الحاج فاضل الخراساني العلوم العقلية، ودرس الفقه علىٰ ايدي آية اللّٰه القمي، والميرزا محمد آقا زاده.

وفي عام ١٣٤٠ هـ توجّه صوب النجف الاشرف وتتلمذ علىٰ اساتذتها وعلمائها: العراقي، والنائيني والسيد أبو الحسن الاصفهاني.

له مؤلفات؛ أبرزها «منتهىٰ الاصول» و «القواعد الفقهية».

توفي سنة ١٣٩٥ هـ[1].

٢ ـ الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني

ولد سنة ١٣٠٩ هـ، في مدينة سامراء، وأنهىٰ المرحلة الأُولىٰ من دراسته في مدينة مشهد، ثم تتلمذ لدىٰ آية اللّٰه القمي، والميرزا محمد آقازاده، ويعدّ أحد ابرز تلامذة القمي ومريديه.

هاجر الىٰ كربلاء وتتلمذ مدّة شهرين لدىٰ الميرزا محمد تقي الشيرازي، ثم انتقل الىٰ النجف الاشرف، وانتظم في دروس الميرزا النائيني، وعُدّ من ابرز تلامذته.

له «فوائد الاصول» وهو من تقريرات استاذه النائيني.

توفي سنه ١٣٦٥ هـ[2].

٣ ـ الملا عباس التربتي:

من مواليد سنة ١٢٨٨ هـ، في قرية «كاريزك» من توابع «تربت حيدرية» التي درس فيها آداب العربية وعلومها علىٰ يدي الملا عبد الحميد وآخرين.

توجه الىٰ مدينة مشهد، حيث انتظم في دروس آية اللّٰه القمي والشهيدي.

---

(١) نقباء البشر ج ١ ص ٢٨٥ .

(٢) نقباء البشر ج ٤ ص ١٣٨٦ .

أثنىٰ عليه القمي في إحدىٰ المناسبات، قائلاً: «لم يكن الملا عباس من أخيار العالم الاسلامي فحسب، بل من أخيار العالم كلّه»

توفي سنة ١٣٦٢ هـ، في مدينة تربت حيدرية[1].

٤ ـ الشيخ فاضل القفقازي:

ولد سنة ١٣١٤ هـ، في مدينة لنكران في بلاد القفقاز. درس الآداب في مسقط رأسه لدىٰ ثقة الاسلام الحاج محمد كلي.

هاجر الىٰ «اردبيل» سنة ١٣٣١ هـ، حيث تتلمذ علىٰ يد السيد محمود. ومن اردبيل انتقل الىٰ «فريمان» حيث درس مقدمات الاصول والفقه علىٰ يد الملاّ محمد تقي، عاد بعدها الىٰ وطنه القفقاز، وذلك سنة ١٣٣٦، ثم اضطرته الظروف المريرة[2] التي عصفت ببلاده للهجرة الىٰ مشهد، درس خلالها علىٰ يد الميرزا محمد آقا زاده، والشيخ حسن برسي، والسيد حسين القمي.

وفي عام ١٤٤١ هـ، انتقل الىٰ مدينة قم وانتظم في درس آية اللّٰه الحائري وأضحىٰ من مريدي آية اللّٰه البروجردي ومن اخلص المقرّبين اليه لدىٰ تصدي الاخير للمرجعية. توفي سنة ١٣٩٢ هـ.

ومن أولاده آية اللّٰه فاضل اللنكراني الذي يعيش في قم حالياً.

---

(١) «فضيلتهاى فراموش شده» ص ١٦، ٦٥، ١٦٣.

(٢) ثورة البلاشفة والمذابح التي ارتكبوها بحق المسلمين.

٥ـ سيد صدر الدين الجزائري:

من مواليد سنة ١٣١٣ هـ. في مدينة النجف الاشرف.

بدأ دراسته في مدرسة «مروي» في طهران. درس الآداب ومقدمات الفقه علىٰ يد والده وأساتذة آخرين.

وفي عام ١٣٢٥ هاجر الىٰ مدينة مشهد، فدرس لدىٰ الشيخ عباس علي فاضل وآية اللّٰه آقا زاده، وآية اللّٰه القمي.

ثم سافر الىٰ العراق وتتلمذ لدىٰ اساتذة النجف وكربلاء ليعود بعدها الىٰ طهران، وتوفي فيها سنة ١٣٨٨ هـ.[1].

---

(١) عدّ المؤلف ٢٠ من تلامذته، لم نر ضرورة في ذكرهم جميعاً، وهم اضافة الىٰ ماورد اعلاه: ١ ـ آقا بزرگ اشرفي ٢ ـ الميرزا مهدي الحكيم ٣ ـ محمد الموسوي اللنكراني ٤ ـ السيد حسين الموسوي ٥ ـ الشيخ حسين علي راشد التربتي ٦ ـ الشيخ مجتبىٰ القزويني ٧ ـ الشيخ هاشم القزويني ٨ ـ الميرزا احمد المدرس اليزدي ٩ ـ السيد حسن الطباطبائي القمي (ابن السيد حسين القمي) ١٠ ـ السيد مهدي الطباطبائى القمي. ١١ ـ الشيخ كاظم الدامغاني ١٢ ـ الشيخ غلام حسين المحامي ١٣ ـ الشيخ يوسف الشاهرودي ١٤ ـ الشيخ علي التوحيدي البسطامي ١٥ ـ الشيخ عباس علي الاسلامي.

في المسجد النبوي الشريف

قام السيد حسين القمي باسفار عديدة، وحجّ بيت اللّه في مطلع شبابه. وفي عام ١٣٨٨ هـ، وعندما كان في مشهد يمّم وجـهه مـرّة أخـرىٰ شـطر المسجد الحرام، وهناك في أرض الهجرة المباركة في المـدينة المـنورة أمّ القمي الجموع الغفيرة في صلاة رائعة لم يشهد أهل المدينة لها مثيلاً من قبل؛ وخلال اقامته هناك تابع بعض أعمال الترميم في مقبرة البقيع حيث مراقـد أئمة أهل البيت عليهم‌السلام.

المرجعية

كـان القـمي المـفتي الأول الذي يـجيب عـن الاسئلة الشـرعية والاستفتاءات، الا نه لم يكن ليطرح نفسه مرجـعاً بشكـل رسـمي، لكـن وتحت إلحاح وإصرار المؤمنين أصدر رسالته العملية سنة ١٣٥١ هـ، تحت عنوان «مجمع المسائل».

وهكذا بدأ التأريخ الرسمي لمرجعيته، حيث قلّده قطاع واسع من الناس، واصبح الشخصية الأولىٰ في اقليم خراسان[١].

---

(١) نقباء البشر ج ٢ ص ٦٥٤.

الثورة والمنفىٰ

وقعت في عهد القمي بعض الحوادث المثيرة التي كان لها أثر في تاريخ تلك الفترة، وكان موقف القمي ازاءها حازماً يتّسم بالثورة والشجاعة والاقدام، كمسأله نزع الحجاب، ومحاولة فرض القبّعة[1].

وكان لمواقف القمي الجريئة وخطوته في القدوم الىٰ العاصمة، ثم اعتقاله ونفيه الىٰ العراق وما نجم عن ذلك من حوادث دامية في انتفاضة «جوهرشاد» الأثر الكبير في تاريخ تلك الحقبة من الزمن.

---

(١) كان رضاخان متأثراً بشخصية «أتاتورك» وقد حاول اقتفاء خطاه وتطبيق التجربة التركية ـ المترجم.

انبعاث الحوزة العلمية في كربلاء

الخطوة الأولىٰ

مع غياب آية اللّٰه الميرزا محمد تقي الشيرازي، بدأت الحوزة العلمية في كربلاء طريقها نحو الاضمحلال، وفقدتْ تلك الشهرة العلمية، كما فقدتْ ثقلها السياسي أيضاً. ولكن مع وصول آية اللّٰه القمي كربلاء سنة ١٣٥٤ هـ، عاود النشاطُ الحوزةَ من جديد وانبعثت فيها الروح مرّة أخرىٰ.

فبعد استقراره في مدينة كربلاء، وجه دعوة الىٰ بعض اساتذة النجف وعلمائها للتدريس في كربلاء والتعاون علىٰ بعث النشاط العلمي فيها، وقد لبّىٰ جمع من الفضلاء دعوة القمي المخلصة؛ وفي طليعتهم:

- آية اللّٰه السيد محمد هادي الميلاني (المتوفىٰ سنة ١٣٩٥ هـ.)
- آية اللّٰه السيد علي البهبهاني (المتوفىٰ سنة ١٣٩٥ هـ.)
- آية اللّٰه السيد أبو القاسم الخوئي (المتوفىٰ سنة ١٤١٢ هـ.)

ومن الجدير ذكره انه جعل قدومَ الخوئي بمثابة الحكم الشرعي الذي لامفرّ منه، وقد امتثل السيد أبوالقاسم لذلك.

● آية اللّه الميرزا مهدي الشيرازي (المتوفى سنة ١٣٨٠هـ.)

اصبح من أخلص مريدي القمي، وظل في كربلاء الىٰ أخريات عمره.

● آية اللّه السيد صدر الدين الجزائري (المتوفى سنة ١٣٨٨هـ.)

وهكذا احدثت هذه الخطوة انعطافاً في مسار الحوزة العلمية في كربلاء بل وتاريخها أيضاً.

وهكذا شهد الصحن الطاهر لمرقد الامام الحسينعليه السلام استئناف الحياة العلمية والفكرية، وانتظمت حلقات الدروس التي كان يعقدها القمّي بعد صلاة العشاءين.

تلامذته في كربلاء

وقد برز الكثير من تلامذته، وأصبح لهم شأن في دنيا العلم والثقافة الاسلامية، وفيما يلي ذكر لبعضهم:

● الشيخ محمد علي السرابي:

درس المقدمات في مشهد، ثم انتقل الىٰ سامراء، ومنها الىٰ مدينة كربلاء وانتظم في دروس القمي.

أصبح أحد أساتذة الحوزة في مدينة النجف الاشرف.توفي سنة ١٣٨٤.

● السيد زين العابدين الكاشاني الحائري: كان احد تلامذة الآخوند الخراساني[١]، حيث درس علىٰ يديه الفقه والاصول، وذلك في مدينة

---

(١) زعيم حركة المشروطة في ايران ـ المترجم.

النجف الاشرف.

انتقل الىٰ مدينة سامراء وتتلمذ هناك لدىٰ الميرزا محمد تقي الشيرازي. وانتقل بعدها الىٰ مدينة كربلاء وانتظم في دروس القمي واصبح أحد مقرّبيه، ومستشاره في الفتيا.

وبعد رحيل آية اللّٰه القمي غادر كربلاء متوجهاً الىٰ قم، ومنها الىٰ الكويت مندوباً عن آية اللّٰه البروجردي، توفي في قم المقدسة سنة ١٣٧٥هـ.

● الشيخ هادي الحائري الشيرازي:

ولد سنة ١٣٠٨ هـ. درس في كربلاء والنجف علىٰ ايدي اساتذة كبار كآية اللّٰه الاصفهاني وآية اللّٰه القمي. توفي سنة ١٣٦٤.

● الشيخ محمد حسين صدقي المازندراني:

ومن مواليد كربلاء. توفي سنة ١٤١٢هـ.

● الشيخ محمد رضا الاصفهاني:

توفي سنة ١٣٩٢هـ.

● السيد باقر الطباطبائي القمي:

ولد سنة ١٣٣٥ في مدينة مشهد. رافق والده آية اللّٰه القمي في رحلته الىٰ العراق، ودرس في كربلاء والنجف، وعاد الىٰ طهران سنة ١٣٦١هـ.

المرجعية العامّة

خلال إقامته في كربلاء، كان القمي يتابع عن كثب تطورات الاوضاع في ايران، ولا يترك فرصة أو مناسبة تمرّ دون استغلالها في تحقيق أهدافه السامية.

فلدىٰ زيارته سنة ١٣٦١ هـ مرقد الامام الرضاعليه‌السلام في مشهد المقدسة، وجّه الىٰ حكومة عصره نداءً طالب فيه المسؤولين باجراء اصلاحات قانونية، خاصّة ما يتعارض والشريعة الاسلامية. وقد حاولت الحكومة آنذاك مداراته، فأجرت بعض الاصلاحات الظاهرية.

وبعد عدّة اشهر امضاها في ايران عاد آية الله القمي الىٰ كربلاء ليبدأ فصل جديد من حياته.

الىٰ النجف الاشرف

رحل آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني[1] الى الرفيق الأعلى سنة

---

(١) ولد في إحدىٰ قرىٰ اصفهان سنة ١٨٦٧ م ، وظهر على الساحة السياسية بعد

١٣٦٥ هـ. وخلّف وراءه فراغاً كبيراً. فاتجهت الأبصار صوب آية اللّٰه القمّي، الذي رفض التصدّي للمرجعية العامّة، ولكنه استجاب فيما بعد مضطراً.

وهكذا غادر القمي كربلاء الى مدينة النجف الاشرف، حيث اصبح مرجعاً عامّاً يقلّده آلاف المسلمين في بلدان اسلامية عديدة.

وقد لاحظ الكثير ممّن يعرفونه تغيّراً طرأ على ملامحه. فقد ألقت المسؤولية ظلالها الحزينة على وجهه، فبدا مهموماً يكتنفه الغمّ. وطالما دعا اللّٰه أن يعجّل له الموت اذا كان ذلك أسلم له في دينه.

لقد ابدىٰ القمي حساسية فائقة تجاه مركزه الديني والاجتماعي الجديد، وأصبح اكثر مراقبة لنفسه ومواقفه؛ حتىٰ أنه قال ذات يوم عندما سمع بعضهم يتحدث عن مساعٍ في استقدام آية اللّٰه البروجردي الىٰ النجف للنهوض بالزعامة الدينية: «ليته جاء وأراحني من هذه المسؤولية»[1].

= وفاة الآخوند الخراساني عشية عزمة السفر الىٰ ايران على رأس متطوعين عراقيين وايرانيين ومواجهة الاحتلال الروسي لشمال ايران سنة ١٩١١ م. وكان للاصفهاني صفحة مشرقة في الجهاد العراقي ضدّ عملاء الانكليز في العراق. توفي سنة ١٩٤٥م عن عمر ناهز الثمانين ـ المترجم.

(١) «عنصر فضيلت و تقوىٰ» ص ٣٦.

مؤلفاته

لآية اللّٰه القمي مؤلفات قيّمة في حقول مختلفة، اضافة الىٰ رسالته العلمية التي تعكس آراءه الفقهية. ومن آثاره:

١ ـ حاشية علىٰ العروة الوثقىٰ؛ ابتداءً من مسائل التقليد حتىٰ باب الصلاة

٢ ـ حاشية علىٰ رسالة الارث والنفقات

٣ ـ حاشية علىٰ الرسالة الربوية (حول مسألة الربا)

٤ ـ حاشية علىٰ الرسالة الرضاعية (مسائل الرضاع)

٥ ـ حاشية علىٰ صحة المعاملات

٦ ـ حاشية علىٰ مجمع المسائل

«جميع هذه الرسائل تعود الىٰ المرحوم الملاّ هاشم الخراساني»

٧ ـ الذخيرة الباقية في العبادات والمعاملات

٨ ـ مختصر الاحكام

٩ ـ طريق النجاة

١٠ ـ منتخب الاحكام

١١ ـ مناسك الحج (باللغتين العربية والفارسية)

١٢ ـ ذخيرة العباد

١٣ ـ هوية الانام في مسائل الحلال والحرام

١٤ ـ رسالة الاحكام[١].

---

(١) نقباء البشر ج ٢ ص ٦٥٥.

الفصل الرابع

في ساحة الصراع

رضاخان ومؤامراته ضد الاسلام

تعدّ الفترة التي شهدت ظهور «رضاخان»[1] وصعوده، ثم استيلاءه علىٰ العرش، من الفترات العاصفة في تاريخ ايران الحديث.

ولقد تمكن الانكليز بدهائهم السياسي من اختراق حركة «المشروطة» والانحراف بها، وبالتالي تصفية قادتها الحقيقين؛ وفي طليعتهم: الشيخ فضل اللّٰه النوري الذي أُعدم في ميدان المدفعية وسْط طهران، واغتيال البعض الآخر أو ابعاده خارج البلاد.

وفي تلك الفترة ينبغي الاعتراف بأن بريطانيا قد استطاعت توجيه مسلسل الاحداث الاتجاه الذي يريدون؛ فقد أفرغت حركة المشروطة من أهدافها الحقيقية، وتمّ فرض معاهدة ١٩١٩ م[2] المذّلة، والقضاء

---

(١) كان قائداً لفرقة القوزاق ـ المترجم.

(٢) وقّع الاتفاقية عن الجانب البريطاني السير پرسي كوكس، وعن الجانب الايراني «وثوق الدولة» رئيس الوزراء في عصر «احمد شاه» آخر ملوك القاجار، ووفقاً لهذه الاتفاقية تخضع ايران الىٰ ما يشبه الوصاية البريطانية.

=

على أعنف ثورة في الشمال الايراني[١]؛ واخيراً: تمهيد الطريق أمام عميل قوي هو «رضاخان» الذي سيصبح الذراع البريطانية الضاربة في البلاد فيما يسمّىٰ بـ «الاستعمار الجديد» عندما تصبح البيادق المحلّية اكثر اخلاصاً للتاج البريطاني من الانكليز انفسهم.

الانقلاب الاسود

دبّر رضاخان بالاتفاق مع «ضياء الدين» انقلاباً عسكرياً سيطر من خلاله علىٰ الاوضاع، وأعلن ولاءه لاحمد شاه.

وكانت الخطوة الأولىٰ تعيين «ضياء الدين» رئيساً للحكومة، و«رضاخان» وزيراً للدفاع.

وتلا ذلك إرغامُ الانكليز الملكَ القاجاريَّ الضعيفَ على إقالة ضياء الدين وإفساح المجال أمام رجل الانكليز (رضاخان)[٢] لتولّي رئاسة الحكومة وقيادة القوات المسلحة.

يقول أيرون سايد (Ironside) ـ الضابط الانكليزي في مذكراته:

= ومن المثير ان النسخة الاصلية مفقودة، فلا هي موجودة في وزارة الخارجية ولا في أي مكان آخر، ولم يتمّ العثور عليها حتى اليوم ـ المترجم.

(١) ثورة الغابة بقيادة ميرزا كوچك خان الذي استشهد في ٢ ديسمبر ١٩٢١م ـ المترجم.

(٢) اجتمع رضاخان باثنين من الخبراء الانكليز قبل أن يقوم باحتلال طهران ١٩٢٠ ـ المترجم.

نفّذ رضاخان خطة الانقلاب بنجاح، وأنا اتصوّر بأنّ عموم الشعب الايراني يدرك تماماً أنني قد خططت لذلك من وراء الكواليس، والحقّ هو كذلك[١].

لم يمكث ضياء الدين سوىٰ ثلاثة اشهر نفّذ خلالها بعض حلقات التآمر على الاسلام والشعب، ثم طُرد من منصبه[٢].

من رئاسة الوزراء الى العرش

كان الانكليز يعملون بنشاط على توسيع رقعة النفوذ البريطاني وتجذيره أكثر فاكثر، وكان رجلهم الوحيد رضاخان قائد فرقة القوزاق سابقاً.

تقدم رضاخان ـ إبّان وزارته ـ الىٰ البرلمان بمشروع يقضي بإلغاء الملكية[٣] الىٰ الجمهورية كخطوة لمصادرة الدستور الذي ينص على استقلال البلاد عن الاجانب والسعي لبناء ايران حرّة.

ولقد جوبهت خطوة رضاخان بمعارضة قويّة؛ يقودها الشهيد حسن مدرّس الذي انتبه مبكراً الى العلاقات المشبوهة التي تربط رضاخان بالساسة البريطانيين[٤].

---

(١) تاريخ معاصر ايران ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤ .

(٣) أجبر الانكليز احمد شاه آخر ملوك القاجار علىٰ مغادرة البلاد بحجة السفر، وبهذا اصبح رضاخان الحاكم الفعلي للبلاد.

(٤) سئل الشهيد مدرّس عن بواعث معارضته لمشروع إقامة الجمهورية، فقال: لو ←

خلت الساحة من مدرّس[١] بعد نفيه الى الحدود الافغانية، وانعقدت الدورة الخامسة للبرلمان[٢]، وكان الجوّ مهيّأً لآخر حلقات التآمر عندما صوّت النواب علىٰ تتويج رضاخان ملكاً لايران.

رضاخان... سياسة مزدوجة

سلك رضاخان سياسة مزدوجة، وهو يشقّ طريقة نحو العرش، وقد نجح بمعاونة الانكليز في خداع الشعب وقطاع واسع من المؤسسة الدينية، فقد ظهر للناس برداء الوطني الغيور على دينه وشعبه، وكان يدرك مدى تغلغل العقيدة الدينية في اعماق الشعب الايراني، فراح يتظاهر باحترام الدين وزيارة قبور الائمة والاولياء والاشتراك في مواكب العزاء الحسيني، يمشي حافياً أو يلطخ جبينه بالطين أو يقيم مجالس العزاء في عاشوراء. وقد نجح «رضاخان» في ذلك الىٰ حدّ كبير.

* * *

يروي الامام الخميني الراحل الذي يعدّ شاهد تلك الحقبة المثيرة من تاريخ ايران:

كان رضاخان وطنياً لوافقتُ علىٰ المشروع؛ ولكني أراه عميلاً مطيعاً للأجانب ـ المترجم.

(١) اغتيل في منفاه عام ١٩٣٧ م ـ المترجم.

(٢) «ظهور و سقوط پهلوي» ج ١ ص ٨٢.

لقد شهدتُ كل الوقائع منذ انقلاب رضاخان حتىٰ الآن، كانت لأعماله ظاهر خدّاع؛ ولكنها كانت تخالف مصلحة الامّة؛ عندما جاء الىٰ الحكم بدأ باظهار تديّنه.. كمجالس العزاء.. لطم الصدور والحضور المستمر في تكايا طهران.. حتىٰ تمكن من السلطة..»[1].

كانت تحركاته ونشاطاته، وحتىٰ بياناته كانت توحي باحترامه للدين وغيرته علىٰ الوطن والشعب.

فقد جاء في بيان وجّهه الىٰ الشعب عشية تتويجه ملكاً علىٰ البلاد:

«ليدرك أهالي ايران بأنّي أؤمن ايماناً عميقاً بركنين مهمين؛ هما:

١ ـ تطبيق احكام الشريعة الاسلامية

٢ ـ تحسين الاوضاع العامّة

ويعلم الشعب الايراني أن هذين الاصلين العامّين مهملين منذ سنوات طويلة حتىٰ طواهما النسيان مع انهما من ضروريات بل واجبات الرؤساء، وعلىٰ الرغم من ذلك فقد اهملا اهمالاً يدعو الىٰ الحزن والأسىٰ وهو أمر لا يمكن تبريره أو تفسيره.

ولأن إشاعة المنكر يخالف اصول الاسلام فأنا اعلن، واعتباراً من هذا التاريخ اغلاق الحانات ونوادي القمار في جميع ارجاء ايران وان حكام الولايات في كل نقاط البلاد ملزمون بتنفيذ ذلك بكل

---

(١) صحيفة النور ج ٧ ص ٤ .

دقة»[1].

وهكذا تمكّن رضاخان من خلال سياسته الخادعة من الحصول علىٰ دعم قطاعات واسعة من الشعب. وعندما تجمعت في يديه خيوط السلطة وأسباب القوّة المطلقة، ظهر الوجه القبيح لرضاخان كعدوّ لدود للدين وخائن للشعب.

ويمكن هنا أن نشير الىٰ العذابات التي صادفها الشهيد حسن مدرّس ثم اغتياله في منفاه[2].

وخلال فترة حكمه ساد جوّ من الارهاب والخوف وخنق الحرّيات، وبلغ استهتاره حدّاً جعل مرتزقته يتجرأون علىٰ انتهاك الاماكن المقدسة، فقد حدث أن اعتقل جلاوزته «الشيخ محمد تقي البافقي» وهو يلقي

(١) «تاريخ معاصر ايران» ص ١٦٥ .

(٢) تعرّض مدرّس الىٰ محاولات اغتيال عديدة فقد اخترقت جسمه ذات مرّة خمس رصاصات وعندما بعث اليه رضاخان برقية للاستفسار عن حاله، ردّ مدرّس: «ليمت الاعداء بغيظهم فان مدرس لم يمت».
كما القي القبض عليه بتهمة التآمر علىٰ البلاد وأُبعد الى الحدود الافغانية في منطقة «خواف» حيث ظلّ احد عشر عاماً لا يعرف شيئاً عما يدور حوله؛ وبعدها أُبعد الى كاشمر. وعندما اعتلىٰ رضاخان العرش لم ينس حقده القديم، فأوعز الىٰ مرتزقته باغتيال خصمه العنيد. وفي السادس والعشرين من شهر رمضان اقتُحم منزله وأُجبر علىٰ تناول الشاي حيث دس فيه السمّ، وجلس الأوغاد ينتظرون وهو يصلّي للّٰه بخشوع. ويبدو أن السمّ لم يفعل فعله فخنقوه بعمامته وسقط شهيداً ـ المترجم.

موعظته الىٰ جانب المرقد الطاهر للسيدة فاطمة المعصومة في مدينة قـم، وتعرض للضرب المبرّح حدّ الموت، ثم اُلقي في السجن[١].

كان رضاخان يستند الىٰ ولاء الجيش ودعم الانكليز؛ فلم تسلم قصبة ولا قرية من عدوانه وظلمه، واستمر في غصب الاراضي حتىٰ تـحوّل الىٰ أكبر إقطاعي عبر التاريخ. فخلال مدّة حكمه التي تبلغ ٦٠٠٠ يوم سجلت باسمه ٤٢٠٠٠ من السندات والوثائق التي تشير الى امتلاكه عشرات القرىٰ والمزارع والبساتين، فشاع لون من نظام الاقطاع اسوأ مما كـان عـليه فـي القرون الوسطىٰ، حيث يعيش الفلاحون في ظروف قاسية يفتك بهم الجوع والجهل والمرض[٢].

يقول أحد المؤرخين المعاصرين:

لقد فعل پهلوي بعد توليه سدّة الحكم الشيء الذي فعله عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

لقد قضىٰ عبد الملك سنوات طويلة يتلو القرآن في المسجد الحرام، وعندما بُشّر بالخلافة وضَع القرآن جانباً وخاطبه قائلاً: هذا فراق بيني وبينك[٣].

---

(١) «نهضت امام خميني» ج ٣ ص ٥١٨ .

(٢) «تاريخ سياسي معاصر ايران» ج ١ ص ١١٥ .

(٣) «تاريخ بيست ساله» ج ٦ ص ١٩ .

في خدمة الاهداف الماسونية

يعدّ تأسيس المحافل الماسونية[١] في منطقة الشـرق الاسـلامي أولىٰ بوادر الاختراق الغربي. وتؤكّد الشواهد التاريخية بأن الانقلاب الذي قاده «رضاخان» لم يكن بعيداً عن النشاط الماسوني المشبوه.

ومايعزز هذه النظرية تلك الحملة الشعواء التي استهدفت علماء الديـن بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ. وقد اتّسعت حملات الدعاية والتشويه، واُلصقت بهم شتىٰ التهم البـاطلة؛ وكـانت العـمالة للانكـليز إحـدىٰ تـلك الاتهامات التي تثير السخرية والدهشة في آن واحد.

يقول الامام الراحل:

قـالوا أنـهم طـبقة مـرفّهة، والمـعمم يـعني أنـه عـميل، المـعمم انكليزي، اذكر انني كنت مع الحائري[٢] في عهد رضاشاه جالسين في سيّارة وكنا في طريقنا الىٰ طهران فـقال أحـدهم: لم أرَ فـي حياتي هؤلاء (المعممين)، الانكليز جاءوا بهم الىٰ ايران (ولعلّه قال

---

(١) كلمه فرنسية تتألف من «Frane» ومعناها «حر» و «Mason» وتعني بنّاء، وقد ظهرت الماسونية في ايران في أولىٰ تشكيلاتها تحت عـنوان «فـرامـوشخانه» ثـم اشتهرت فيما بعد باسم «فراماسونرى».

والماسونية تخدم اهدافاً يهودية قذرة حيث تعمل علىٰ تحطيم البناء الاخلاقي والروح الدينية.

(٢) مؤسس الحوزة العلمية في قم.

ايضاً) والنجف، لقد جاء بهم الانكليز ليضعوا العقبات في طريقنا، هكذا كانوا يتحدثون عن المعممين فالمعمم يعني عميلاً للانكليز[١].

نشط الماسونيون ليل نهار، وكانوا ينفثون سمومهم في أفكار الشعب من أنّ تخلّف ايران يعود الىٰ الاسلام وعلمائه، وانّ تقدم ايران مرهون بنبذ الاسلام بعيداً فهو لايعدو كونه خرافات واوهاما.

وللأسف فقد اجتاحت موجة العداء لعلماء الدين، واصبحوا في نظر الكثيرين اشياء قديمة ينبغي نبذها، وامتنع بعضهم عن مخالطتهم أو إركابهم السيارات.

ويروي الامام الراحل ذكريات مرّة عن تلك الفترة. يقول في إحداها نقلاً عن صديق له (المرحوم الشيخ عباس الطهراني):

كنت في «أراك»[٢] وقد عزمت السفر الىٰ قم وأردت كراء سيارة فقال السائق:لقد تعاهدنا ـ السوّاق ـ علىٰ ان لا نركب طائفتين من الناس: الفواحش والمعمّمين. وهكذاكانت سياسة «رضاخان» وجلاوزته.

ثم يروي الامام حادثاً شهده بنفسه. يقول:

كنت في سيّارة وكان بين الركاب شيخ. وفي الطريق توقّفت السيارة بعد نفاد الوقود، فالتفت السائق وقال: لقد نفد ألوقود، وهذا

---

(١) صحيفة النور ج ٦ ص ٣١.

(٢) مدينة جنوب العاصمة طهران.

تقصير الشيخ! لقد فسر السائق نفاد الوقود بسبب وجود الشيخ[١].

اجراءات رضاخان

سعىٰ «رضاخان» خلال حكومته وتحت غطاء تحديث ايران الىٰ محو الاسلام تدريجياً من خلال تهميش دور العلماء اجتماعياً وثقافياً وسياسياً، وكانت سياسة رضاخان تحظىٰ بدعم الانكليز وتشجيعهم؛ وهذه بعض اجراءاته:

قانون الخدمة الالزامية

استخدم «رضاخان» قانون الخدمة الالزامية كحربة ضد علماء الدين، في محاولة لاضعاف المؤسسة الدينية، خاصّة عندما تصطدم تعاليم الدين مع قوانين الجيش والاعراف العسكرية.

وقد ولّدت هذه الخطوة ردود فعل غاضبة علىٰ مستوىٰ زعامة الحوزة العلمية التي أعربت عن غضبها واستيائها جرّاء ذلك.

حذف التاريخ القمري

وفي هذه الخطوة كشف رضاخان عن عمالته للغرب وعدائه للاسلام كحضارة، ذلك أن التاريخ القمري هو التاريخ الثقافي للاسلام، حيث الوقائع

---

(١) صحيفة النور ج ٦ ص ٦٨.

والاحداث تسجل بظهور الهلال كبداية للشهر والسنة الاسلامية.

ومايزال الهلال رمزاً للامة الاسلامية في مقابل الصليب لدى النصارى أو النجمة السداسية لدىٰ اليهود.

وهكذا ضعف ارتباط النـاس بـالاحداث والمـناسبات الاسـلامية[١]، وأصبح التسجيل الذي يحمل التأريخ القمري جريمة يعاقب عليها القانون بشدّة[٢].

اختلاط البنين بالبنات

عمد رضاخان الىٰ سنّ قانون جديد يقضي باختلاط الاولاد مع البنات في المدارس الابتدائية، حيث يرتدي الأولاد سراويل قصيرة.

وكانت هذه بداية لتحطيم البنية الاخلاقية لدىٰالجيل الناشئ الذي يعدّ الثروة الحقيقية للبلاد.

---

(١) تشهد ايران محاولات عديدة لاعادة الاهتمام بالهلال كـرمز للأمـة الاسـلامية، كجمعية الهلال الاحمر التي كانت في السابق تحمل شعار الاسد والشمس الحمراء» أو العلم الايراني حيث شعار يتألف في الواقـع مـن مـجموعة أهـلّة ـ المترجم.

(٢) وقد مهدّت هذه الخطوة لاجراء أخطر، عندما استبدل التاريخ الهجري بـالتاريخ الشاهنشاهي.

احلال مكاتب العدل المدنية

وفي محاولة لتهميش دور علماء الدين واقصائهم عن الحياة العامّة، عمد (رضاخان) الىٰ احلال حقوقيين درسوا في أوربا محلّ العلماء في إمضاء مختلف العقود والمعاملات؛ بما في ذلك عقود الزواج.

وقد كانت جميع معاهدات البيع والشراء والشهادات تخضع لضوابط شرعية، فأصبحت بعيدة عن روح الدين خاضعة لقوانين اجنبية؛ وكانت هذه الخطوة ضربة موجعة حدّت من تغلغل الروح الدينية في روح الشعب.

يقول أحد المؤرخين الاجانب

لقد ظلّ «الملالي!» علىٰ نفوذهم بالرغم من القرارات الجديدة فهم يعتبرون مفسرين للشريعة؛ ومن هنا يتوجّب حضورهم في أكثر الاعمال حياتية لدىٰ الناس من قبيل الزواج، الطلاق، استيفاء القروض، انتقال السندات بل وفي العقود التجارية ايضاً.

وكان عام ١٩٢١ م انعطافة كبرىٰ عندما حلّ الحقوقيون الذين تخرجوا في أوربا محل العلماء في وزارة العدل(١).

اغلاق المساجد والحسينيات في مواسم عاشوراء

من المؤامرات الدنيئة التي خططت لها الماسونية العريقة في التخريب؛ إغلاق المساجد والحؤول دون إقامة مراسم العزاء في عاشوراء

---

(١) «نهضت امام خمينى» ج ٣ ص ٥١٩ .

الحسينعليه السلام كخطوة في دق اسفين بين الشعب وقادته من علماء الدين.

وقد بلغت قسوة الاجراءات أن مرّ عاشوراء كيوم عادي، وكان الجلاوزة يدورون مع تصاريح باطلاق النار علىٰ كل من يخالف الأوامر؛ وانفتح الباب علىٰ مصراعيه لكل من يهاجم أو يتحامل علىٰ كل من يقدّس هذه الشعائر أو يحتفل بها[١]، باستثناء بعض المتحمسين الذين يقيمون مجالسهم في الخفاء بعيداً عن اعين جلاوزة رضاخان؛ وكم من العيون المتلصصة التي كشفت بعضها وجرّت عليها الويل والثبور.

يقول احد المؤرخين المعاصرين:

كانت لفرقة القوزاق مجالس للعزاء خاصّة بها، وبعد أن تمكن پهلوي من العرش خفَت بريقها شيئاً فشيئاً الىٰ ان هجرت تماماً... وأعقب ذلك تشجيع الحكومة علىٰ اقامة الكرنفالات، وقد يصادف إقامتها احياناً في ليالي عاشوراء، فتهتزّ الارض تحت أقدام الراقصين[٢].

---

(١) يقول آخوند زاده وهو من الماسونيين الايرانيين: «لماذا نبكي علىٰ أناس هم أجانب علىٰ ايران بل وقد جرّوا الويلات علىٰ أهل ايران».

ويقول أقاخان الكرماني وهو ماسوني أيضاً: «إن اقامة مراسم العزاء تسلب الشعب روح الفرح وتجعل من نهاره المشرق ليلاً مظلماً؛ ما هي علاقة الايرانيين بحبيب بن مظاهر! وما هي الفائدة من وراء البكاء علىٰ مظلومين قتلوا قبل ألف عام؟!».

(٢) «تاريخ بيست ساله ايران» ج ٤ ص ١٩٠ .

توحيد الزي

صادق البرلمان في دورته السادسة علىٰ قانون يقضي بتوحيد الزي للايرانيين[١]. ولعلّ اهم بواعث هذا القرار هو محاولة رضاخان لسلخ الشعب الايراني عن زيّه التقليدي وبالتالي عن ثقافته العريقة، بالخصوص تحطيم الهالة التي تحفّ علماء الدين بزيّهم التقليدي الذي ورثوه منذ مئات السنين.

كان رضاخان يخشىٰ العلماء ويعتبرهم الخطر الذي يتهدد عرشه باستمرار.

وهكذا انكمش المعممون علىٰ انفسهم، ولم يعودوا الىٰ الظهور في المعابر العامّة، فيما عكف بعضهم في المدارس والمنازل[٢].

يقول الامام الراحل عن تلك الفترة:

لقد صبّوا الظلم علىٰ رؤوسنا، وكانت مساجدنا ومدارسنا وحوزاتنا العلمية تحت نفوذهم، ولم يتركونا نعمل بسلام. وأذكر انني جئت يومها إلىٰ مدرسة «الفيضية»[٣] فلم أجد سوىٰ طالباً واحداً، فسألته عما حصل فقال: لقد فرّ الطلبة منذ الفجر الىٰ البساتين المحيطة.

---

(١) «واقعه كشف حجاب» ص ٥٠ .

(٢) «تاريخ بيست ساله ايران» ج ٦ ص ٢٥١ .

(٣) احدىٰ اهم منطلقات الثورة الاسلامية بقيادة الامام الخميني (رض) ـ المترجم.

نعم كانوا يفرّون فجراً ويعودون الىٰ حجراتهم في المساء، وكان بعضهم يلتقون في احدىٰ الحجرات يبثون همومهم؛ فجاء أحدهم ـ يغفر اللّٰه له ـ وحذرنا من الاجتماع، وتمازح معه البعض، ولكن في اليوم التالي جاء مفتش من الشرطة وأطلق تهديداته[1].

وفي قانون توحيد الزي لايحق لشخص ارتداء الزي التقليدي لطلبة العلوم الدينية الاّ بعد تأييد اثنين من المجتهدين وموافقة وزارة المعارف.

وكان هذا الاجراء ذكياً، فمن خلاله يميز النظام الطلبة الخطرين ثم يقوم بتصفيتهم، كما اشار الىٰ ذلك الامامُ الراحل، في معرض حديثه عن موقف أحد زعماء الحوزة آنذاك، والذي أعرب عن ترحيبه بقرار الحكومة مادام يرمي الىٰ تميز الخبيث من الطيب:

إنهم يخافون الطيبين إنهم يريدون تشخيصهم، ويريدون محوهم، ولوكانوا يهدفون الىٰ محو السيئين لرحبّنا بذلك[2].

ويمكن القول أن وجود الحوزات العلمية والزعامات الدينية الجريئة هي التي حفظت ايران من الانهيار.

٧ـ تقليد التجربة التركية

عاد رضاشاه من تركيا وقد ترسخت في ذهنه التجربة التركية التي نفذها

---

(١) صحيفة النور ج ٦ ص ١٣٣ .

(٢) صحيفة النور ج ١ ص ١٢٨ .

بنجاح أتاتورك ـ مصطفىٰ كمال ـ في اكبر وأقذر عـملية اسـتلاب فكـرية باركها الغرب ومايزال.

طرح رضاخان في بداية الامر القبعة البهلوية[١]، ولكنه عاد وغيّرها الىٰ القبعة الغربية بعد زيارته لتركيا، حيث تخلّىٰ الاتراك قسراً عن طـرابـيشهم أمام قبعات الغرب[٢].

وقد برّر رضاخان قراره هذا: حتىٰ يدرك الايراني أن لا فرق بينه وبـين الاوربي[٣].

ولا شك فإن افكار رضاخان وجدت ترحيباً وحماساً كبيراً في الاوساط المتعلّمة المبهورة بالحضارة والتمدّن الغربيَين، وشرعت الاقلام المأجـورة في الترويج لذلك، وهذه المقالة نـموذج للـحملة المسـعورة التـي شـنتها الصحف؛ فقد نشرت جريدة آزادي ـ الحرية ـ مقالاً جاء فيه:

---

(١) تشبه اليوم قبعة الجندي الايراني حالياً.

(٢) مايزال اتراك ايران المسنّون يرتدون القـبعات الغـربية، ربّـما لبـواعث قـومية! المترجم.

(٣) «قيام گوهرشاد» ص ٣٣ .

انعكاسات قضية القبعة في الصحف المحلية

جشن هاى كلاه بين الملل

اقامه جشن ها

در تمام ولايات و ايالات مملكت

كلاه تمام لبه

شرحى راجع به منافع كلاه تمام لبه

در شماره هاى قبل بمنظور آگاه كردن

جشن درباغ ملى

شيوع كلاه‌هاى بين‌المللى

استعمال كلاه هاى بين الملل

ان موضوع تغيير الزي هو موضوع طبيعي اساساً، فكل امّة وكل عصر عرضة للتغيير والتبدل، واخيراً التقدم. الانسان يبحث عن الطعام والسكن والطمأنينة والزي وهو ينشد في كل ذلك الرفاه في الحياة. وعندما يرىٰ قائدٌ أو ملك ما ان شيئاً سيكون في صالح شعبه وأُمّته وبلاده فإن علىٰ الأُمّة ان تقبل ارادته دون تعصب؛ الآ اذاكانت تلك الامّة أمة جاهلة أسيرة الجمود في فكرها، ترفض كل حسنات الآخرين.

الامم الجاهلة هي وحدها التي تحارب مصلحتها الحقيقية، فترفض افكار قادتها. أما الامم المتقدمة فإنها ـ علىٰ العكس تماماً ـ تمضي وراء قادتها دون عناد، وبذلك تحيا في سعادة.

ان الأُمّة الايرانية امّة متجددة، وستغير كل عاداتها وتقاليدها نحو الافضل، وهي امّة لاتعرف العناد.. تمضي وراء قائدها. ومن هنا فإنها بادرت الىٰ ارتداء القبعة الجديدة عندما ادركت رغبة ملكها بذلك فها هي الاحتفالات تقام بحماس من أجل التعبير عن رغبتها في السير في طريق التقدم والمدنية.

ان القبعة «الجديدة» اصبحت رمز التقدم، ويمكن القول اننا بدونها لا نملك شيئاً[1].

(١) قيام جوهرشاد ٦٤.

ولا يحتاج الأمر الىٰ بيان تفاهة هذه الافكار عندما يكون تغيير المظاهر والتشبه بالآخرين هو الطريق الوحيد للتمدن والحضارة.

وفي مقال آخر نلمس مدىٰ عقدة الصغار التي تعصف بكاتبه، بل بكل الطبقة (المثقفة) التي قُدِّر لها ان تقود الحركة الفكرية في تلك الحقبة من الزمن:

ان نجاح تجربة «القبعة» تعدّ قفزة في طريق التقدم والازدهار فايران اليوم غيرها بالامس! ان ايران المعاصرة تقف جنباً الىٰ جنب الامم المتقدمة دون شعور بالحياء.

ويروي مخبر السلطنة رئيس الوزراء لقاءه مع رضاخان:

في لقائي معه ذات مرّة، خلع قبعتي وقال: كيف هي؟ قلت: انها اجمالاً تقي من المطر ومن الشمس، ولكن قبعتنا كانت اقرب الىٰ القلب.

فوجئ بكلامي.. خطا عدّة خطوات وقال: ولكني اردت ان نتوحد في الزي حتى لا يسخروا منا.

قلت: بالطبع هناك مصلحة في رأيكم.

ولكني قلت في نفسي: ان السخرية لما هو تحت القبعة وهذا التقليد الفارغ[١].

---

(١) «تاريخ بيست ساله ايران» ج ٦ ص ٢٦٩.

نزع الحجاب (السفور)

وهو من اكثر المسائل حساسية التي تركت وراءها جدلاً واسعاً، وتكاد ترتفع الىٰ مستوىٰ الغارة الثقافية، وقد قام النظام آنذاك بدعاية مكثّفة تحت شعار «تحرير المرأة من سجن الحجاب». وكانت حملات مماثلة قد سبقت ايران في كل من تركية وافغانستان.

ولقد كرّس رضاخان نفسه للصراع مع التقاليد والعادات العريقة، واعتبر ذلك الطريقَ الوحيد للنهضة والحضارة والتمدن، وكانت زيارته لتركيا سنة ١٩٣٤ قد عزّزت في نفسه روح الصراع، فعاد وهو اكثر تصميماً وعنفاً. يقول عن زيارته تلك:

لقد التقيت رجلاً عظيماً، قاد امّته الىٰ سلّم التقدم والرقي، وينبغي علينا أن نحذو حذوه[1].

وهكذا وضع رضاخان التجربة التركية بقيادة أتاتورك نصب عينيه نموذجاً كاملاً يتوجب تقليده.

وصبّت الحكومة كل جهودها علىٰ اقامه الاحتفالات المختلطة وحضور النساء والفتيات سافرات.

وعندما وجد رضاخان رفضاً شعبياً واسعاً بثّ شرطته وجلاوزته في الشوارع والازقّة ينتزعون «الشادور»[2] بالقوة، مع سيل من الاهانات.

---

(١) «تاريخ بيست ساله ايران» ج ٦ ص ١٥٣.

(٢) عباءة المرأة الايرانية.

يقول الامام الراحل:

وكانت ذريعته (رضاخان) أنه يقلّد أتاتورك، وأتاتورك كان مصلحاً غير صالح، ومسألة نزع الحجاب فضيحة كبرىٰ، واللّٰه يعلم الويلات التي جرّها على الامة.

لقد مزّقوا حجاب الانسانية وانتهكوا حرمة النساء والرجال، أُجبروا الناس علىٰ اقامة الاحتفالات المختلطة، وتمّ ذلك في ظل الحراب. أية حرّية للمرأة تتم بالعنف والقوة وحراب الشرطة؟ يدفعون الناس الىٰ اقامة احتفالاتهم بالقوة، وكان البعض يحضرون مضطرين وأعينهم تفيض من الدمع[١].

كانت الحكومة ترعىٰ جميع الاحتفالات وتخطط لإقامتها في كل المدن الرئيسية؛ بما في ذلك المدن المقدسة.

ففي شيراز نظّمت الحكومة احتفالاً كبيراً برعاية وزير المعارف «ميرزا علي اصغرخان»، وأقيم الاحتفال في مدرسة «شاپور» وقد حضر الاحتفال مختلف طبقات الشعب، واُلقيت الكلمات المختلفة. وفي نهاية المطاف ظهرت علىٰ «الخشبة» اربعون فتاة نبذن الحجاب بحركة مسرحية وبدأن الرقص، وقد غادر بعض الحضور الاحتفال احتجاجاً، وكان هذا الحادث الشرارة الاولىٰ التي مهدت لانتفاضة مدينتي شيراز ومشهد.

وفي طهران أقيم احتفال في ساحة «جلالية» بحضور رئيس الوزراء

---

(١) صحيفة النور ج ١ ص ٢٦٨.

«ذكاء الملك فروغي»، وكانت أغلب الفتيات اللائي اشتركن في الحفل من بنات الطبقة الحاكمة وكبار موظفي الدولة[١].

وقد بلغ استهتار «رضاخان» أن حضرت عائلته احتفالات «نوروز»[٢] التي تزامنت مع شهر رمضان في مرقد السيدة فاطمة «المعصومة» سافرات.

وبالطبع لم يجرؤ أحد علىٰ الاعتراض أو الاستنكار. وعندما أُحيط آية اللّه البافقي علماً بذلك وجّه خطاباً شديد اللهجة جاء فيه:

ماذا انتم؟! اذاكنتم غير مسلمين فما معنىٰ حضوركم في هذا المكان المقدس؟! اذاكنتم مسلمين فما معنىٰ ظهوركم سافرات؟

وكانت مشهد هي الاخرىٰ هدفاً لهذه الاجراءات التي تمّت برعايةٍ شخصية من محافظ اقليم خراسان[٣].

---

(١) اتبع اتاتورك نفس هذه السياسة، ونجح فيها الىٰ حدّ بعيد، كما نجح في كل خططه التي أدّت الىٰ سلخ تركيا من أحضان الاسلام، والتنكّر لكلّ ذلك التاريخ المشرق الملئ بالأمجاد والبطولات. وما يزال تمثاله في (أنقرة) وهو يمدّ يده باتجاه الغرب يعبر عن اكبر واقذر عمليات التدمير الثقافي التي نفذها بقسوة. وما تزال الشبهات تدور حول أصله والظروف التي مكنته من قيادة تركيا مما حدا بالحكومات التركية ـ ولاسباب غير واضحة ـ الىٰ سنّ قانون يحمي «أتاتورك» مايزال سارياً حتى الآن ـ المترجم.

(٢) اعياد الربيع وبدء السنة الايرانية ـ المترجم.

(٣) واقعة كشف حجاب .

مواجهة الطاغوت

في عام ١٩٢٥م سافر آية اللّٰه القمي الىٰ طهران وأقام فيها مدّة من الزمن، وفي تلك الايام كانت برامج رضاخان في تحديث ايران قد بـلغت الذروة. وغالباً ماكانت تلك الافكار تتناقض تماماً مع الشريعة الاسلامية أو تصطدم بالمؤسسة الدينية التي يحاول رضاخان تفتيتها تمهيداً للقضاء علىٰ الثقافة الاسلامية العقبة الكأداء في طريق الرقيّ الجديد!!

ولا ننسىٰ أن نشير الىٰ ان رضاخان ربما كان يضمر عداء شخصياً تجاه العلماء، ربما تعود الىٰ مشاعر عدم الاكتراث التي يواجهها كملك.

وقد حدث ذات مرّة أن حضر رضاخان أحد مـجالس التأبـين، وشـعر بالغضب لإهماله من قِبل العلماء، وقد قرر وقتها لقاء آية اللّٰه القمي في منزل المرحوم شريعتمدار الرشتي.

وفي اللقاء وضح القمي بواعث الموقف السلبي للعلماء تجاهه وعـدّد له الاجراءات الحكومية التي تستهدف اهانة مقدسات المسـلمين، كـما أثـار بعض الطلبات من بينها:

١ ـ الغاء التجنيد الالزامي لطلبة العلوم الدينية

٢ ـ التفاوض مع السعودية حول بناء مراقد ائمة البقيع

٣ ـ الحدّ من نفوذ البهائية

وقد اجاب رضاخان حول البند الثالث بكل جرأة: «ان اعضاء الحكومة كلّهم بهائيون».

فرّد القمّي: ولهذا ينبغي الحدّ من نفوذهم.

الصراع

أحدثت حفلة «مدرسة شاپور» وظهور فتيات سافرات علىٰ خشبة المسرح وأداؤهن حركاتٍ راقصة ردودَ فعل غاضبة. فقد تجمّع المئات من أفراد الشعب في مسجد «وكيل» وأعربوا عن استيائهم الشديد.

واستنكر أحد العلماء ذلك العمل المشين، وهاجم القائمين عليه، واعتبر ذلك انتهاكا صارخاً لمقدسات الاسلام، ودعا الشعب الىٰ اليقظة إزاء ما يحاك من مؤامرات رخيصة.

وتطورت الاوضاع من سيئ الىٰ أسوأ. والقي القبض علىٰ «سيد حسام الدين» إثر ذلك، وعمّت الاضطرابات مدينة شيراز. وطارت الأنباء الىٰ مختلف المدن الايرانية كتبريز و قم و مشهد.

ففي تبريز استنكر بعض كبار العلماء، وسرعان ما تم نفيهم والسيطرة علىٰ الوضع في تلك المدينة.

ويشعر القمي بالمرارة والحزن العميق، ويتمتم أمام بعض اصدقائه وهو يستعيد الحوادث المرّة والمؤامرات التي تحاك ضد الأمة والبلاد:

الاسلام اليوم يحتاج الىٰ فدائي وعلىٰ الامّة أن تثور[١].

واجتمع علماء مشهد للتداول فيما ينبغي عمله، وفي آخر دروسه قال القمي مؤكداً دور العلماء في التصدي لبرامج «رضاخان»:

في رأيي حتىٰ لو قُتل عشرة آلاف شخص؛ وفي طليعتهم القمي نفسه في هذا الطريق، فهو ليس خسارة.

ويستقر الرأي علىٰ أن يتوجّه القمي صوب طهران احتجاجاً. وقد أبرق قبل سفره الىٰ رضاخان حول عزمه السفر الىٰ العاصمة.

وعندما سئل القمي عن موقفه فيما لو رفض رضاخان الاصغاء اليه اجاب:

سأطلب منه إلغاء برامجه المضادة للاسلام وسأخنقه إذا رفض ذلك[٢].

وحوصر منزل القمي اثر انتشار الخبر.

وقد بعث القمي رسالة الىٰ الشيخ الحائري يطلب منه التدخل لمساندته، وعندما أصبح سفره وشيكا اوصىٰ الىٰ نجله واشار الىٰ احتمال عدم عودته الىٰ مشهد.

وفي ليلة ٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ هـ، انطلق موكب القمي الذي ضم ولديه وخادماً له.

---

(١) مجلة «نور علم» السنة الثانية العدد الأول ص ٨٤.

(٢) «عنصر فضيلت و تقوىٰ» ص ٤٣.

واحاط علماءُ مشهد علماءَ طهران بخطوة القمي، وعمّ الحماس بعض مساجد طهران.

ويصل القمي مدينة طهران، ويتّجه صوب مرقد «السيد عبد العظيم» ويحط رحله في بستان «سراج الملك».

وفي مطلع ربيع الثاني حيث مضىٰ يوم واحد علىٰ وصوله، توافدت الجماهير يتقدمها العلماء للترحيب به والاعراب عن تضامنهم معه. وكانت شدّة الزحام قد عبّرت عن قوّة المرجعية الدينية ومدىٰ نفوذها العميق[1].

ولم ينحصر الأمر بأهل طهران بل شاركت كثير من المدن القريبة بإرسال الوفود المختلفة، وكان الامام الراحل ﷺ أحد الذين زاروا القمي في محل إقامته. يقول الامام:

كان المرحوم القمي وحيداً، ولكنه لم يتردد في اعلان الثورة[2].

وقد أعربت قطاعات واسعة من الشعب عن تضامنها مع خطوة القمي حتىٰ الموت.

يقول السيد مرتضىٰ البرقعي ـ ابن أخ القمي ـ:

دخلت عليه في محل سكناه، وكانت عيناه متورمتين من كثرة البكاء. لقد كان يبكي ما حل بالاسلام من مصائب وما صبّه

---

(١) «نهضت روحانيون ايران» ج ٢ ص ١٥٩ .

(٢) صحيفة النور ج ٨ ص ٣١ .

رضاخان من ظلم بالمسلمين[١].

الحصار

شدد جلاوزة رضاخان الحصار علىٰ محل إقامة القمي ومنعت زيارته ولم يسمح له ايضاً بمغادرة المنزل.

وزاره اثناء الحصار وفد يمثل رضاخان. وخلال اللقاء وفي محاولة لإحراج القمي قال الوفد: لقد احيط جلالة الملك بمطالبكم.

ولكن القمي ردّ بحزم: يجب أن أقابل الملك شخصياً[٢].

وكان رضاخان يتفادى لقاء القمي لعلمه المسبق بشخصية القمي التي لا تعرف سوىٰ الشجاعة والاقدام والتحدّي.

بعث رضاخان برسالة يحاول فيها تبرير عدم لقائه، جاء فيها: انك لم تنتظر جوابي عن برقيتك عندما جئت الىٰ طهران.

فردّ القمي: انني لم ابرق لك لكي تأذن لي بالقدوم. لقد أحطتك علماً بعزمي علىٰ السفر.

---

(١) «عنصر فضيلت و تقىٰ» ص ٤٩ .

(٢) مجلة «نور علم» السنة الثانية العدد الأول ص ٨٦.

انتفاضة «جوهرشاد»

وصلت انباء اعتقال آية اللّٰه القمي الىٰ مشهد فعمّتِ المدينة موجة من الاحتجاج الشعبي، استنكرت فيها الجماهير اجراءات رضاخان.

وعمّت موجة من الحماس والثورة مدينة مشهد. وفي مسجد «جوهرشاد» تجمّع الآلاف للإصغاء الىٰ أول صرخة مدوّية اطلقها الشيخ «محمد تقي بهلول». وربّما لأول مرّة دوّت هتافات: «الموت للشاه»، ويحيا الاسلام.

وشهد اليوم التالي مواكب مختلف طبقات الشعب ومن مختلف المدن في اقليم خراسان وهي تأخذ طريقها نحو مسجد جوهرشاد، وتحصَّن العلماء في المسجد.

وحاولت قوّة من القوزاق احتواء الموقف فشنّوا هجوماً علىٰ المسجد، وتصدّت الجماهير المؤمنة لهم وأجبرتهم علىٰ التقهقر وغصّ المسجد بآلاف المتحصّنين، وكان الشيخ «بهلول» يواصل إلقاء خطبه النارية مستنكراً سياسة «الشاه». وكان حضور المرأة فعالاً حيث ضربت للنسوة خيمة في ساحة المسجد.

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٣٥٤هـ. وصلت ذروة التجمع نقطة الأوج، وكانت التقارير تصل طهران لحظة بلحظة.

وتصدر أوامر رضاخان بمهاجمة المسجد.

وفي منتصف تلك الليلة هاجمت قوات القوزاق بقيادة العقيد «ايرج مطبوعي»[1] وفتحت النار علىٰ الجموع العزلاء.

واستمر ازيز الرصاص مدّة طويلة وسقط العشرات من الشهداء[2] ونقلت ٥٦ شاحنة القتلى وحتىٰ الجرحىٰ حيث دفنوا في مقابر جماعية كما اعتقل اكثر من ١٥٠٠ من أفراد الشعب وأودعوا السجون والمعتقلات، كما القي القبض علىٰ العديد من العلماء، وقد فرّ الشيخ بهلول باتجاه الحدود الافغانية واعتقل من قبل النظام الافغاني واودع السجن مدّة ٣١ سنة.

لقد واجه رضاخان انتفاضة الشعب بكل قسوة، وجرَتْ محاكمات ظالمة طالت العديد من العلماء وفي طليعتهم «الميرزا محمد آقازاده»[3].

---

(١) حوكم بعد ٤٦ سنة من تاريخ المذبحة وذلك بعد انتصار الثورة الاسلامية، واختير نفس المسجد مكاناً للتحقيق معه وقدصدرحكم الاعدام بحقة ونال جزاءه عام ١٩٨٠ م.

(٢) صادفت المذبحة ذكرىٰ الهجوم الروسي بقيادة الجنرال «ردكو» علىٰ مشهد سنة ١٣٣٠ هـ.

(٣) ابن المرجع الكبير كاظم الخراساني، وكان نجله «الميرزا» من النشطين في حركة المشروطة. اعتقل بعد مذبحة «جوهرشاد» ولقي مصرعه في ظروف غامضة، وتشير اصابع الاتهام الىٰ الدكتور احمدي الذي حقن المرحوم بابرة هواء.

يقول الشيخ عباس الواعظ الخراساني وهو أحد الذين حوكموا:

ان نهضتنا شرعية لأنها انطلقت تحت لواء القمي وهو نائب الامام المهدي(عج) ولن اهاب الموت حتى لو حكموا عليّ بالاعدام[1].

وتصل انباء المذبحة المروّعة الىٰ آية اللّٰه القمي الذي ما يزال محاصَراً في طهران، وقد حمّل القمي شخص (رضاخان) مسؤولية الحوادث الدموية:

ان الحكومة تتحمل مسؤولية المذبحة، ولقد كانت حركة الشعب سلمية للغاية، وأنا جئت لاتفاوض مع الشاه بأيدٍ خالية وبدل الاصغاء الىٰ مطالب الشعب قاموا باطلاق رصاص بنادقهم علىٰ صدور الناس العزّل[2].

البروجردي يتدخل

استمر الحصار حول منزل آية اللّٰه القمي. وتوجّه وفد من علماء قم الىٰ بروجرد ومناشدة «البروجردي» التدخل في حل المشكلة، فأبرق الىٰ «رضاخان» طالباً منه الغاء الحصار المفروض، وقد تم رفعه بالفعل[3].

---

(١) قيام جوهرشاد ص ١٦١ .

(٢) مجلة «نور علم» السنة الثانية العدد الاول ص ٨٧ .

(٣) كانت الحكومة ورضا خان شخصياً يبديان احتراماً ربما ظاهرياً لآية اللّٰه البروجردي لسببين؛ الاول ابتعاد البروجردي الىٰ حدّ ما عن السياسة، ومحاولة رضاخان استثمار صمته، والثاني: النفوذ الواسع الذي يتمتع به البروجردي في غرب البلاد وهو ما يخشاه رضاخان ـ المترجم.

وخيّرت الحكومة آية اللّٰه القمي بين البقاء في محل إقامته او الانتقال الىٰ مدينة اخرىٰ شرط أن لاتكون مشهد، اما اللقاء «بالشاه» فقد عدّ مستحيلاً.

واختار القمي الهجرة الىٰ العراق، ووافق رضاخان علىٰ ذلك.

وأرسل رضاخان أحد المسؤولين حيث قدّم الىٰ القمي شيكاً مفتوحاً ليسجّل فيه المبلغ الذي يريد، ولكن القمي رفض ذلك بشدّة قائلاً:

أنا ارفض استلام الأموال من الحكومة وحتىٰ لو جاء رضاخان بنفسه.

وقال المسؤول الحكومي: انتم في حاجة كما اعرف، خاصّة بعد الحصار.

فأجاب القمي بثقة المؤمن:

انني أحد رعايا صاحب الزمان وهو لن يتخلىٰ عن رعيته.

كما أبدىٰ مفوض الشرطة التي اشرفت علىٰ الحصار تعاطفاً مع القمي، ونقل اخبار القمي الىٰ تجار طهران الذين سرعان ما جمعوا مبلغاً يغطي نفقات السفر، وحمل المفوض المبلغ الىٰ القمي بسرّية.

وتمتم القمي:

لقد كنت واثقاً بأنّ صاحب الزمان لن ينسىٰ رعيته.

لقاء البروجردي

غادر القمي مدينة الري مع اربعة من مرافقيه، ورفض ركوب سيارة كانت الحكومة قد ارسلتها اليه بغية مراقبته.

وصدرت الاوامر بإبلاغ كافة مراكز الشرطة في أية مدينة ينوي القمي المرور بها.

وعندما وصل مدينة «ملاير» اتصل من هناك بآية اللّٰه البروجردي، وعرض عليه اللقاء في ملاير أو في بروجرد، ولكن البروجردي خفّ الىٰ لقاء القمي في مدينة ملاير.

ومن ملاير انطلق القمي الىٰ مدينة كرمنشاه وتوقّف في الحدود العراقية بعد أن وضعت الحكومة العراقية العراقيل في طريقه.

وكان السيد محمد الصدر رئيس الوزراء آنذاك فاحيط علماً بإجراءات حكومته، واتخذت التدابير اللازمة، واتجه القمي صوب مدينة الكاظمية ثم سامراء لزيارة مراقد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

في سامراء اُلقي القبض علىٰ آية اللّٰه القمي واقتيد الىٰ بغداد ثم اطلق سراحه بعد مدّة قصيرة دون اسباب!

وقد أعرب رئيس الوزراء عن أسفه العميق واعتبر ذلك «مجرّد اشتباه».

وطلب من القمي عدم تصعيد الموقف، وقد غادر القمي بغداد لوحده متوجهاً الىٰ مدينة كربلاء[١].

استقبل القمي في كربلاء استقبالاً منقطع النظير، وبعث السـيد ابـو الحسن الاصفهاني زعيم الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف صـهره مندوباً عنه للاحتفاء بمقدم القمي وخاطبه قائلاً

لقد أوصاني «السيد» ـ الاصفهاني ـ أن اقبّل يديكم بالنيابة عنه.

ويعدّ هذا اللقاء من أروع صور التواضع والحب بين العلماء.

ولاننسىٰ أنّ الخراساني كان يريد اظهار تأييده الكامل لحركة القمي في صراعه مع «رضاخان».

وانطلق القمي بعد أن طاف مرقد سيد الشهداء الحسين الىٰ مدينة النجف الاشرف حيث مرقد بطل الاسلام الخالد علي بن ابي طالب عليه السلام فيمكث مدّة هناك ثم يعود الىٰ كربلاء مرّة أخرىٰ.

رفاق الدرب

كانت مذبحة «جوهرشاد» ماتزال هاجسه الوحيد، وكان القلق يساوره بشأن مصير من هم في السجن، وتمتم مرّة أمام بعض مريديه: «الىٰ متىٰ يبقى هؤلاء في ظلمات السجون».

وكان لابدّ من خطوة في هذا الطريق، فتقرر أن يـحرّك عـلماء النـجف

---

(١) «عنصر فضيلت و تقوىٰ» ص ٥٤ .

للضغط علىٰ حكومة «رضاخان» لا طلاق سراحهم.

وللأسف ـ لسبب غير واضح ـ اعتذر علماء النجف عن ذلك.

ووجد القمي نفسه مضطراً للنهوض بهذه المهمة، وكلف القمي شخصاً كان غالباً ما يكتب رسائله وبرقياته بتوجيه برقية الىٰ رضاخان حول الموضوع.

وانبرىٰ الكاتب وراح يسطِّر كلمات الافتتاح: حضرة ملك ملوك ايران خلّد اللّه ملكه ... الخ.

فاعترض القمي علىٰ ذلك:

ماذا تعني هذه الكلمات؟ أنا أريد تعنيفه وأنت تقول خلّد اللّه ملكه.

ووصلت البرقية الىٰ الشاه الذي أبرق بدوره يطمئنه علىٰ مصير السجناء، مع وعدٍ باطلاق سراحهم في أقرب فرصة.

ولم تمض مدّة قصيرة حتىٰ وصلت انباء تفيد باطلاق سراحهم[1].

---

(١) «عنصر فضيلت و تقوىٰ» ص ٥٢ .

مواجهة المحتلّين

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية حدثت تطورات في كثير من البلدان الاسلامية كان لها صلة بمجريات الحرب، وفي العراق قاد جناح من الضباط الوطنيين حركة قومية استهدفت تحرير الارادة العراقية من النفوذ الانكليزي البغيض،

وكأنّ التاريخ يعيد نفسه، فقد صدرت فتاوىٰ العلماء الشيعة لتأييد «حركة مايس»[1] وعدّ البعض الحكومة الجديدة حكومة اسلامية.

وهكذا هبّت القبائل العراقية لمساندة حركة الضباط استجابة لفتاوىٰ العلماء كالسيد ابو الحسن الاصفهاني، والشيخ محمد كاشف الغطاء، والسيد حسين القمي، وقد جاءت فتوىٰ الاخير مفعمة بالحماس وروح المواجهة للقوّات الغازية التي بدأت انزالها في مدينة البصرة يوم ٢٩ نيسان ١٩٤١م.

وجاء في نص الفتوىٰ:

---

(١) بقيادة رشيد عالي الكيلاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله المعصومين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم السلام على كافة اخواننا
المؤمنين ورحمة الله وبركاته ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا كأنهم بنيان مرصوص لا ريب ان وجوب الدفاع عن بيضة الاسلام
وعن المسلمين من ضروريات الدين وهو من افضل الطاعات وفيه العز في الدارين
واحدى الحسنيين فلا تهنوا في ابتغاء القوم وكونوا يدا واحدة على عدوكم
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وتآزروا وتعاضدوا
ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين
حسين الطباطبائي القمي

التهديد باعلان الحرب

السفر الىٰ ايران

قُدّر للرجل الذي أذاق أمّته وشعبه الظلم والحرمان، والأحرارَ القتل والنفي والتعذيب.. قدّر له أى يقضي أيامه الاخيره منفياً في جزيرة نائية[1].

ويقف الانكليز مباشرة وراء ترحيله وتنصيب ابنه ملكاً علىٰ البلاد، وقد اقتضت عملية الانتقال هذه حملة اعلامية واسعة النطاق حول دكتاتورية رضاخان واستبداده، وهبّت علىٰ البلاد نسائم الحرّية.

واستثمر السيد حسين القمي هذه الفرصة، فعقد العزم علىٰ زيارة مشهد المقدسة وإثارة محنة المسلمين في مذبحة «جوهرشاد» والاهداف السامية التي سقط من اجلها عشرات الشهداء.

وفي صيف ١٣٦٢ هـ. غادر القمي العراق عائداً الىٰ ايران وقد استُقبل استقبالاً حافلاً في كل المدن التي كانت في طريقه؛ خاصّة مدينة قم المقدسة حيث بادر المئات من أهلها الىٰ استقباله في قرية علىٰ بعد ٦٠ كيلومتراً عن قم.

---

(١) جزيرة موريس وهي بالقرب من مدغشقر في المحيط الهندي.

وبعد إقامة وجيزة في مسقط رأسه، توجّه القمي الىٰ طهران، واستُقبل هناك استقبالاً واسعاً حيث تجمّع مايزيد علىٰ مئة الف من أهالي طهران لتحيته. وقد توجه الىٰ محل إقامته في بستان «سراج الملك» المكان الذي حوصر فيه من قبل.

ومن طهران توجه القمي الىٰ مدينة مشهد حيث دخلها في الاول من شهر رجب سنة ١٣٦٢ هـ. وكانت الذكريات المرّة لمذبحة مسجد «جوهرشاد» تعصف في خياله.

وقد اعربت مختلف طبقات الشعب في المدينة عن حبها العميق وولائها للرجل الشجاع الذي انبرىٰ لمحاربة الظلم في عقر داره.

ومن مدينة مشهد ابرق الىٰ حكومة طهران مذكّراً بالاهداف التي نهض من أجلها فقدّم الىٰ المسؤولين بعض اقتراحاته:

١ ـ الغاء مهزلة نزع الحجاب المفروضة بالقوّة.

٢ ـ إدخال مناهج لتعليم القرآن الكريم والتربية الدينية في المدارس الابتدائية حتىٰ الثانوية.

٣ ـ الغاء المدارس المختلطة، وفصل مدارس البنين عن البنات واقامة الصلاة فيها.

٤ ـ منح الحرّية للحوزة العلمية واعفاء مدرّسيها وطلابها من الخدمة الالزامية.

٥ ـ اسناد إدارة التجارة والاقتصاد الىٰ متخصصين، وإحداث توازن بين الصادرات والواردات، وعلاج مسألة شحّة الموادّ الغذائية في الاسواق.

كما ذكّر الحكومة بضرورة بناء مقبرة البقيع في الحجاز، واعادة الاوقاف الخاصة بالمدارس الدينية[1].

ويبدو أن الحكومة لم تلق بالاً لاقتراحاته، فتوجه الىٰ طهران وأعلن:

أنا مستعد للحرب مع الحكومة وإقامة حكم اللّٰه وليحدث ما يحدث[2].

وقد ألهبت كلماته الثورية روح الحماس في نفوس الشعب فهبّ العلماء واعلنوا دعمهم له ووقوفهم وراءه.

واثر هذا التحرك الواسع اضطرت الحكومة الىٰ التراجع، واعلنت موافقتها علىٰ مطالب القمي وقد وجّه رئيس الوزراء «سهيلي» برقية جوابية الىٰ آية اللّٰه القمي جاء فيها:

حضرة آية اللّٰه القمي

جواباً علىٰ برقيتكم التي بعثتم بها من مشهد، انعقد مجلس الوزراء وقرر ما يلي:

١ ـ فيما يخصّ مسألة الحجاب فقد تقرر منح الحرّية للمرأة في اختيار الزي.

٢ ـ وحول مسألة اعادة الاوقاف الىٰ المدارس الدينية فقد اتخذ قرار بذلك منذ بضعة شهور وتقرر العمل بقانون الاوقاف وستتابع

---

(١) «نهضت روحانيون ايران» ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) «يک صد داستان خواندني» ص ٤٢ .

الحكومة تنفيذ ذلك.

٣ـ وفي باب ادخال المناهج الدينية في البرامج التعليمية، فقد تضمن قانون المجلس الاعلىٰ للثقافة ذلك مؤيداً من قبل مجتهد جامع للشرائط كما تقرر ايضاً الفصل بين البنين والبنات في المدارس.

٤ ـ وحول بناء مراقد ائمة اهل البيت: في البقيع، فهناك سعي من قبل وزارة الخارجية، وسنعلمكم بالنتائج فيما بعد.

٥ ـ وحول مسألة الاقتصاد واصلاح الارزاق العامّة للبلاد، فإن الحكومة مشغولة باجراء ما يوفر الرفاه لعموم الشعب.

رئيس الوزراء سهيلي[١]

---

(١) «واقعه كشف حجاب» ص ٤٢٤ وثيقة رقم ٢٠٤ .

نصّ برقية رئيس الوزراء الى آية الله القمي
وتتضمن موافقة كاملة على اقتراحاته

اطلاعات

پاسخ هیئت وزیران به حضرت آیة‌الله قمی

[illegible] در آخرین [illegible] شماره ۱۱۲۲۶ که در جلسه هیئت وزیران به تصویب رسیده بود بحضور آیة‌الله تقدیم گردید.

در جواب تلگرافی که از مشهد مقدس مخابره فرموده بودید محترماً زحمت میدهد تلگراف در هیئت وزیران مطرح و تصویب دولت بشرح زیر اشعار میشود.

۱ـ آنچه راجع بحجاب زنان تذکر فرموده‌اند دولت عملا این نظریه را تأمین نموده است و دستور داده شده که متعرض نشوند.

۲ـ در موقع ارجاع موقوفات خاصه [illegible] مدارس دینیه بمصارف مقرره آن از چند ماه قبل دولت تصمیم گرفته است که بر طبق قانون اوقاف و مفاد وقفنامه ها عمل نماید و ترتیب این کار هم داده شد و این تصمیم دولت بزودی تعقیب خواهد شد.

۳ ـ درباب تدریس شرعیات و عمل بآداب دینی برنامه های آموزشی بانظر یکنفر مجتهد جامع الشرائط چنانکه درقانون شورای عالی فرهنگ قید شده منظور خواهد شد وراجع بمدارسی که [illegible] دارند در اول [illegible] امکان پسران [illegible] دختران تفکیک خواهند شد.

۴ـ درباب تعمیر شاع مطهره [illegible] امور خارجه دستور مؤکد داده شده که اقدامات سابق خودشان را تعقیب و نتیجه بعدا باطلاع [illegible] خواهد رسید.

۵ـ درباب اصلاح ارزاق عمومی در [illegible] مشغول اقدامات که از هر حیث آسایش عامه تأمین شود.

نخست وزیر [illegible]

۵

ما [illegible] خود را تقدیم بزرگترین [illegible] مرد ایرانی و یگانه عالم ربانی حضرت آیة الله قمی نموده و [illegible] حضرت معظم له را از خداوند مسئلت می نمائیم

و از دولت جناب آقای [illegible] که بوظایف قانونی خود عمل کرده اند متشکریم.

[illegible] و آزادیخواهان این [illegible] را که اولین قدم در اجرای قانون اساسی و [illegible] حقوق [illegible] برداشته شده شاد باش میگوئیم و [illegible] را در اجرا و عمل بدستورات اسلامی دعوت کرده و [illegible] حق [illegible] نه دادی.

وهكذا اثمرت عشرة اعوام من الجهاد المتواصل، وحصل الشعب علىٰ مطالبه التي ثار من أجلها وقدّم في سبيلها الشهداء.

ويعقد القمي عزمه علىٰ الرحيل الىٰ كربلاء مهوىٰ الاحرار.

وفي مراسم خاصّة حضرها كبار العلماء وفي طليعتهم السيد صدر الدين الصدر، الفيض، محمد تقي الخونساري في طهران.

.. ودّع القمي الشعب الايراني متوجها صوب الحدود الغربية.

وفي بيان خاص وجهه الىٰ الشعب اشار القمي الىٰ الاهداف التي جاهد من اجلها، كما شكر الحكومة علىٰ موافقتها علىٰ مطالب الشعب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا ونبينا محمد صلىٰ الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

اما بعد:

لا يخفىٰ علىٰ إخواني المسلمين الايرانيين ان هدفي من المجيء الىٰ ايران كان زيارة مرقد ثامن الائمة عليه السلام. ولقد تأثرت للاوضاع التي يعيشها الشعب الايراني والمصائب التي حلّت به، والشتات الذي يهدد عموم طبقات المجتمع والتساهل إزاء ما يلحق بالمقدسات الاسلامية من الامتهان، ولقد طلبت من الحكومة الاسلامية المحترمة العمل علىٰ اصلاح احوال الامة والبلاد، وأبرقت في ذلك من مشهد الىٰ المسؤولين؛ كما كان قدومي الىٰ طهران من اجل متابعة ذلك،

ولا انسى الدعم الذي قدمه العلماء الاعلام وعموم الشعب، والحمد لله فقد استجابت الحكومة المحترمة ـ عن حسن نية في الاصلاح ـ الىٰ المطالب المشروعة، وإن تنفيذ ذلك مرهون بالتعاون بين الجميع.

وليعلم جميع السادة ان قلقي وهواجسي كانت من اجل رفاه الناس واصلاح شؤونهم في الدنيا والدين والعمل علىٰ انقاذ امتنا الايرانية من كل ما يمزقها...

وأنا اليوم في طريقي الىٰ كربلاء حيث حضرة سيد الشهدا عليه السلام، وسأبقىٰ طيلة حياتي كما في السابق في خدمة الدين الاسلامي الحنيف.

أوصي جميع أفراد الشعب الايراني المسلم التمسّك بروح الدين وأن يجعلوا من التقوىٰ شعاراً لهم ويتمسكوا بحبل الله المتين، وأن يكونوا معاً في المساواة والمواساة فيما بينهم، وقد قال تعالى «انما المؤمنون أخوة»...

وليعلم الجميع أن العزة والسعادة والخلاص هو بالدين وان كل فرد مسؤول عن الآخرين و«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وعلىٰ كل مسلم أن ينفذ احكام الله والالتزام بتعاليمه وأن يفتخر بذلك...

أوصيكم بتقوىٰ الله ولزوم أمره والاعتصام بحبله. وقد وعد الله أهل الايمان بالنصر والظفر «وهو الذي أيّدكم بنصره».

اقدم شكري الىٰ الحكومة المحترمة علىٰ موافقتها في اجراء الاصلاح والعمل علىٰ تحقيق سعادة الامة والمجتمع واودّع جميع اخواني وأؤكّد علىٰ التضامن بين الحكومة والشعب، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لاخيه ما يحب لنفسه» وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم».

والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ[1]

---

(١) عنصر فضيلت و تقوىٰ ص ٧٣ .

جزاء المرتدّ

شهدت ايران في الأربعينات ما يشبه الغارة الثقافية حيث تعرض الفكر الديني الىٰ حملات واسعة من قبل الشيوعيين والمتغربين، يمكن القول انها هزّت ـ في الصميم ـ العقيدة الدينية، وسلبت المجتمع تلك الطمأنينة التي كان يعيش في ظلالها.

ولعلّ اخطر ما واجه الدين من مصائب تلك التي جاءت تحمل صبغة دينية زائفة أو تمسكاً ببعض القشور، ويبقىٰ أن نشير الىٰ ان الاستعمار هو وراء جميع الدعوات الضالّة التي حاول من وراء الترويج لها تسميم الجوّ الفكري أو إلهاء المجتمع بمعارك وهمية بعيداً عن مسألته الاساسية في البناء والحضارة.

وكان الكاتب «احمد كسروي» رأس الحربة في مهاجمة الاسس الدينية من خلال افكاره الهدّامة التي تعدّ نسخة سخيفة للآراء التي راجت في أوربا في القرن الثامن عشر فيما سمي وقتها بالتجديد الديني، أو يمكن مقارنتها

بالفكر الوهابي الذى ظهر في فترة مقاربة[1] ويدّعي «كسروي» أن الدين ضد العلم، وأن القرآن ليس كتاباً سماوياً وأنه لا ينسجم مع معطيات العلم الحديث، وقام باحراقه بكل وقاحة .

وكسروي ينكر معاجز الانبياء أو ارتباطهم باللّٰه سبحانه، بل يعتبرهم مجرد مغيّرين ويطرح نفسه علىٰ هذا الاساس نبياً جديداً.

وقد تمادىٰ كسروي في ضلاله دون أي وازع، وتجرأ علىٰ مهاجمة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وحفيده «الصادق» عليه السلام واعتبر الاسلام ديناً يقود الىٰ الضلال والجهل.

وتضمنت كتبه «آيين اصول جديد» ـ قانون الاصول الجديد ـ و «صوفيگري و شيعيگري» ـ التصوف والتشيع ـ افكاره الهدّامة التي تقف وراءها الماسونية التي تطمح الىٰ تحطيم العقيدة الدينية في حياة الشعوب[2].

الرأي العام

نجم عن صدور كتب كسروي ردّ فعل غاضب في كثير من الاوساط، وهاجم غاضبون في «تبريز» و «مراغة» دور النشر التي يديرها مناصرون لكسروي وأضرموا فيها النار. ووصفت بعض الصحف الكاتب بأنه مجرّد مجنون، ويتعين ايداعه في «دار المجانين»، وطالب بعضهم بمحاكمته بتهمة

(١) دفاع عن الفلسفة ص ١٧ .

(٢) نواب صفوي سفير سحر ص ٥٥ .

الالحاد، ولم يصدر عن الحكومة أي موقف؛ الأمر الذي يعني تأييداً ضمنياً للكاتب وافكاره.

وصلت كتب كسروى الىٰ مدينة النجف الاشرف، وكان «نواب صفوي»[1] شاباً متحمساً يدرس وقتها في الحوزة العلمية بمدينة النجف، فوقف علىٰ ما تتضمنه كتب كسروي من افكار هدّامة ومناقضة للدين، فرفع المسألة الىٰ زعامات الحوزة العلمية وفي طليعتهم: آية اللّٰه حسين القمي والعلاّمة الاميني، منتظراً ما يتخذ بشأنه من قرار.

وقد أفتىٰ القمي ـ بعد مطالعته مؤلفات كسروي ـ بأن الاخير مرتد[2] يتوجب معاقبته.

تنفيذ الحكم

نهض نواب صفوي بواجبه كمسلم غيور علىٰ دينه فترك دراسته وعاد الىٰ ارض الوطن.

حاول نوّاب في البداية مناظرته فكرياً والحدّ من تأثيره علىٰ الشباب

---

(١) مؤسس حركة فدائيان اسلام.

(٢) يعني الارتداد في الفقه الاسلامي انكار الاسلام كدين آلهي، وبتعبير حقوقي خروج المسلم كفرد تابع للأمة الاسلامية؛ وهناك نوعان من الارتداد: فطري وملّي، فالمرتد الفطري من كان مسلماً من أبوين مسلمين ثم تجاهر بالخروج عن الاسلام أو انكاره وحكمه القتل حتىٰ لو اعلن توبته كما حدث لسلمان رشدي، اما المرتد الملّي فهو من اسلم وأبواه غير مسلمين فاذا ارتدّ عن الاسلام فحكمه القتل، فإن اعلن توبته ارتفع عنه الحكم.

والبسطاء ممن تبهرهم الافكار الجديدة.

فمثلاً كان كسروي يستهجن تعظيم النبي والائمة من آله لأنهم موتىٰ! ومن السخافة أن نقدس الموتىٰ!

وكان نوّاب يعدّ ذلك وبرغم كل شيء شأناً انسانياً فالانسان يضمر احترام الذين قدّموا حياتهم من اجل المثل العليا، فكيف بالنبي الذي انقذ العالمين من ظلمات الجهل والظلم الىٰ نور الحق؟

ويبدو أن كسروي كان من الذين لا يرعوون الىٰ صوت الحق فقال بصفاقة:ان القرآن نفسه يستنكر احترام الموتىٰ ثم استدل بما يدعيه بأنه آية من القرآن «لا تكرموا موتاكم»!

وقد ترسخت قناعة في ذات الشاب وقرّر تنفيذ حكم اللّٰه في من ليس مرتداً فحسب بل ومفسد في الارض.

وفي يوم ١٤ ابريل عام ١٩٤٥ توجه نواب صفوي الىٰ منزل كسروي وهو يخفي سلاحاً نارياً، ويشاء القدر أن يتوقف مسدسه عن العمل. ولكن نوّاب لم يتراجع فهاجم المرتدّ وراح يسدد له ضربات مشحونة بالغضب المقدّس الذي يتفجر في اعماقه، ولكن كسروي نجا من الموت.

واُلقي القبض علىٰ نواب ليساق الىٰ السجن. ولكن ضغطاً شعبيا واسعاً اجبر الحكومة علىٰ اطلاق سراحه بعد أقلّ من اسبوع واحد.

ويخرج نواب صفوي وهو اكثر تصميماً وعزماً فراح يخطط لتصفية كسروي.

وفي شباط عام ١٩٤٦ قام كل من سيد حسين امامي وشقيقه سيد علي

باغتيال كسروي.

واعتقل الأخَوان، فيما غادر نـوّاب صـفوى ايـران الىٰ العـراق لإثـارة المسألة في النجف والسعي للافراج عن المعتقلين.

كانت النجف تعيش آنذاك أياماً حزينة اثر رحيل المرجع الكبير السيد أبو الحسن الاصفهاني، وقد وصل وفد من ايران لتقديم تـعازي الحكـومة الايرانية بهذه المناسبة، وقد جوبه الوفد الايراني الذي طاف بـعض بـيوت العلماء بانتقادات مرّة حول اعتقال الاخوين «إمامي».

وقد حاول الوفد الايراني سحْب البساط من تحت أقدام حركة «فدائيان اسلام». ففي لقاء الوفد مع آية اللّٰه القمي أُثيرت مسألة شرعية العمليات التي تنفذها الحركة؛ خاصّة اغتيال كسروي التي تحتاج الىٰ ما يدعمها شـرعياً وبالتحديد وجود مرجع أو مجتهد كشرط اساسى فى ذلك.

وقد ردّ القمي وقتها بشجاعة قائلاً: إن عملهم كان ضرورياً ضـرورة الصلاة ولا يحتاج الىٰ فتوىٰ، فالذي ينتهك حرمة النبي والائمة الاطهار قتْله واجب وهو مهدور الدم.

وفي نهاية المطاف نـجحت المسـاعي والضـغوط فـي اطـلاق سـراح الشقيقين من السجن(١).

---

(١) كان الوفد الايراني قد طلب من القمي دعم حكومة رضا پهلوي ولكـن القـمي اعلن بشجاعة: «إن پهلوي ليس مسلماً؛ والدليل سجنه لقتلة كسـروي المـرتد» ولا ننسى الاشارة الىٰ ان القمي يقف ايضاً وراء الافراج عن الكاشاني الذي اعتقل فـي ظروف مماثلة.

الفصل الخامس

في مرآة الاخلاق

يمثل الجانب الاخلاقي في شخصية المرء المحور الاساس في حياة الانسان. واسلامياً يمكن القول ان الاخلاق تمثل القيمة النهائية للمسلم في الحاضر والمستقبل أو في عالم الشهادة والغيب، بل ويمكن القول ايضاً إن شدّة النصوع الاخلاقي هو وراء خلود الشخصية ومقاومتها لصدأ التاريخ اذا صح التعبير.

وفيما يلي شذرات من حياة القمي ومواقفه التي يمكن أن ترسم ملامح شخصيته الاخلاقية:

● يقول السيّد القمي قدس سره: «لا اذكر انني اخلفت وعدي حتى مرّة واحدة طيلة حياتي»[1].

● توقفت به وبرفاقه السيارة في مدينة «المسيّب» في الطريق بين كربلاء وسامراء بسبب خلل فنّي وقال السائق انها تحتاج الىٰ اصلاح فسأل القمي عن الوقت الذي يستغرقه العمل، فقال السائق: عشر دقائق، فقال القمي لرفاقه: هيا الىٰ البحث.وفرّش بطانية وفتح كتابه[2].

---

(١) «عنصر فضيلت و تقوىٰ».

(٢) «اهميت علم و تقوىٰ در اسلام« ص ١٢ .

● في ليالي القدر المباركة كان القمي يستغرق في مطالعة الكتب والبحث العلمي؛ فيما كان الناس يقضون اوقاتهم الىٰ جانب ضريح سيد الشهداء يتلون القرآن وكان يقول: إنّ تعلم العلم لأفضل عند اللّٰه من تلاوة القرآن والمكوث في الاضرحة.

● كان يصطحب معه في السفر بعض طلبته مبرّراً ذلك بقوله: كيف ابرر لنفسي الاستفادة من «سهم الإمام» وهو مال يخص الطلبة مادامو يشتغلون في الدراسة.

● يقول العلامة الكبير السيد محسن الامين العاملي:

عندما توقّف القمي في دمشق وهو في طريقه الىٰ الحج أرسل الي يستعير مني بعض مجلّدات من موسوعة «جواهر الكلام». لقد كان القمي كثير المطالعة ولا يتركها حتىٰ في السفر[1].

● من أقواله: «أنا مع صديقي حتىٰ أبواب جهنم، ولكني لست حاضراً لدخولها من اجله».

● أصيب القمي بالحصبة عندما كان في سامرّاء، فعاده آية اللّٰه محمد تقي الشيرازي وكان يلتهب من الحمىٰ ولكنه كان يتحدث متماسكاً ويعبر عن آرائه بقوّة دفعت الشيرازي الىٰ القول: إن معتقداته جزء من شخصيته وملكة راسخة فيه.

● كان يعاني من ألم في عينيه لازمه منذ طفولته فمرّ ذات يوم برجل

---

(١) اعيان الشيعة ج ٦ ص ١٦٩ .

مكفوف البصر وطلب الرجل من القمي أن يقوده الىٰ مكان ما، فأخذ بيده وقاده اليه ثم دعا له، والشيء المدهش هنا أنه لم يشتكِ من الألم في عينيه بعد ذلك أبداً.

● كان له موقف متحفظ إزاء حركة «المشروطة» فسُئل عنها ذات يوم فأجاب: «ليس لدي ما يستحقّ القول».

وجّه كاتبه رسالة تعزية الىٰ احدهم وذكر: انني تأثرت بشدّة لذلك.

فقال القمي لكاتبه: هذا كذب أنا لم أتأثر.

● راجع ابنه القنصلية الايرانية في كربلاء ولكي لا تشمله الخدمة الالزامية ادّعىٰ أن سنّه أقلّ من سن البلوغ.

فقال القنصل بما أنك لم تبلغ سن الرشد فيتوجب علىٰ والدك أن يؤيّد ذلك.

وعرض الابن علىٰ ابيه ذلك، فقال القمي بغضب: خسئ أبوك اذا كان يدّعي المرجعية ونيابة صاحب الزمان ثم يكذب! والله لو كان عندي مئة ولد ووضعوهم في فوهّات المدافع ثم طلبوا مني أن اكذب ما كذبت. ان الكذب يمحق الاسلام، وموت أبنائي لاضرر منه عليه.

● ترنّم أحد الشعراء بمدحه لدىٰ عودته من المنفىٰ وبالغ في ذلك حتىٰ بان الغضب علىٰ وجه السيد وحرمه من المكافأة. وعندما سُئل عن سبب ذلك اجاب: انه غلوّ وإفراط في الوصف.

● كان ينفق من ارث له عن والده الىٰ أن وافاه الاجل.

● لم يكن يصرف علىٰ أولاده من مرتبات الطلبة الاّ بعد أن يعرف

الجدّية في درسهم، وكان يساويهم مع سائر التلاميذ. وطلب من أحدهم بعد أن رأىٰ منه فتوراً في حضور الدروس ان يعمل ويوفّر لنفسه ما ينفق.

● وطلب أحدهم منه مبلغاً من المال فسأله القمي: أو ليس عندك مال؟

فقال: لا.

فأشار القمي بأربعة اصابع.

ودهش السائل اذ كان في جيبه اربعة دنانير.

● وفي إحدىٰ سفراته قال لرفاقه: خذوا معكم خبزاً. فقالوا انّا لا نحتاج الىٰ ذلك.

فكرر عليهم ذلك، فحملوا معهم ارغفة من الخبز.

وفي الطريق مرّوا بجراء حول أمهم وكانت تحتضر فأمر بتقديم الخبز اليها.

● وكان يعظ الناس علىٰ المنبر في مشهد ليلة عاشوراء الحسين عليه السلام، فسمع عربدة في الخارج فسأل عن ذلك فقيل له إنه قائد الشرطة سكران.

فغضب القمي وقال: اقسم بجدّي لا أنزل عن المنبر حتىٰ يحكم الله.

وفي الاثناء جاءه من يخبر بأن السكران قد تمزقت امعاؤه!

● واقتدىٰ به جمع من عرب العراق ثم جاءوه قائلين: انا قد صلّينا خلفك ولا ندري صحة قراءتك.

فأجاب القمي بأدب جم: سأقرأ عليكم السورتين حتىٰ تطمئنوا.

الرحيل

بعد رحيل آية اللّٰه العظمىٰ السيد ابو الحسن الاصفهاني اتجهت الانظار الىٰ آية اللّٰه القمي ومنذ ذلك اليوم أصبح القمي مرجعاً عاماً للطائفة الشيعية.

وقد شعر القمي بثقل المسؤولية، وظهر الحزن علىٰ وجهه، وطالما سُمع يقول: اخشىٰ ان تضر زعامتي بالدين.

وكان يدعو اللّٰه أن يعجّل له بالموت.

يقول آية اللّٰه الميلاني ـ وكان من المقرّبين لديه:

تشرفت بزيارة مرقد سيد الشهداء فأشار الي (القمي)، وعندما تقدمت اليه قال: لقد جرّأتني الزعامة وأنا اخشىٰ ذلك علىٰ ديني، فاذا دعوت اللّٰه فأمّن علىٰ دعائي.

ثم توجّه بالدعاء قائلاً: اللهم إن كانت زعامتي تضرّ بدينك فاقبضني اليك، ثم بكىٰ بمرارة.

وعندما مرض مرض الموت دعا بعض اصحابه وعرض عليهم عقائده:

اشهد أن اللّٰه واحداً لا شريك له

وانه ارسل رسله بالحق وانزل معهم الكتاب

واشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن علياً وأحد عشر من أولاده ائمة
يدعون الىٰ الحق
واشهد أن الله عادل وأن المعاد والقيامة حق وأن سؤال القبر حق
وأن الجنة والجحيم حق والشفاعة حق.

وظل يتمتم حتىٰ غشي عليه من الموت[1].

واشتد به المرض فنُقل الىٰ المستشفىٰ الملكي ببغداد.

وفي يوم الخميس ١٤ ربيع الاول عام ١٣٦٦ وافاه الاجل ورحل الىٰ الرفيق الاعلىٰ بعد ٨٤ عاماً قضاها في العلم والعمل والجهاد.

شيع جثمانه في بغداد ثم الكاظمية ونقل الىٰ كربلاء ومنها الىٰ النجف، حيث ووري الثرىٰ في رحاب جدّه العظيم.

---

(١) «عنصر فضيلت و تقوىٰ» ص ٧٧ .

مصادر الكتاب

١ ـ آيينۀ دانشوران / سيد علي رضا ريحان / مكتبة آية اللّٰه المرعشي

٢ ـ اهميت علم و تقوىٰ در اسلام / سيد محمد شيرازي / نشر هاشم، قم

٣ ـ تاريخ بيست سالۀ ايران / حسين مكي / طهران

٤ ـ تاريخ روابط خارجي ايران / عبد الرضا هوشنگ مهدوي / اميركبير، طهران

٥ ـ تاريخ سياسي معاصر ايران / د. جلال الدين المدني
انتشارات اسلامى، قم

٦ ـ تاريخ قم / شيخ محمد حسن ناصر الشيعة / قم ١٣٤٢ هـ.

٧ ـ تاريخ معاصر ايران / البروفيسور پيتر آوري / عطايى، طهران

٨ ـ دفاع عن التاريخ / حميد سيف زاده / انتشارات عارف ، طهران

٩ ـ دفاع عن الفلسفة / رضا داوري / طهران

١٠ ـ دائرة المعارف بزرگ اسلامى / طهران

١١ ـ «رضا شاه» / مذكرات سليمان بهبودي / طهران

١٢ ـ صحيفة النور / مجموعة كلمات الامام الخميني وخطبه ورسائله
طهران وزارة الثقافة والارشاد

١٣ ـ ظهور و سقوط سلطنت پهلوي / اطلاعات، طهران
١٤ ـ علماء معاصرين / واعظ خياباني / انتشارات اسلاميه، طهران
١٥ ـ علماء بزرگ از كلينى تا خميني / معارف اسلامي، طهران
١٦ ـ عنصر فضيلت و تقوى / عباس حاجياني / المفيد، قم
١٧ ـ نواب صفوي سفير سحر / على رضا گبارى /
منظمة الاعلام الاسلامي، طهران
١٨ ـ نهضت امام خميني / سيد حميد روحاني
مركز اسناد انقلاب اسلامي، طهران
١٩ ـ نهضت روحانيون / علي الدواني
بنياد فرهنگى انقلاب اسلامى، طهران
٢٠ ـ واقعهٔ كشف حجاب / مؤسسه مطالعات فرهنگى، طهران

المصادر العربية:

١ ـ اسرار ثورة مايس او الحرب العراقية الانكليزية / يونس بـحرى /
منشورات دار البيان
٢ ـ اعيان الشيعة / السيد محسن امين العاملي / دار التعارف ، بيروت
٣ ـ الذريعة الى تضانيف الشيعة / آقا بزرگ الطهراني /
دار الاضواء، بيروت
٤ ـ سفينة البحار / الشيخ عباس القمي /
دار التعارف للمطبوعات، بيروت

٥ ـ الغدير / عبد الحسين امين النجفي / دار الكتاب العربي، بيروت
٦ ـ الفوائد الرضوية / الشيخ عباس القمي / قم
٧ ـ نقباء البشر / آقا بزرگ الطهراني / دار المرتضىٰ، مشهد
٨ ـ هدية الرازي الىٰ الامام الشيرازي / آقا بزرگ الطهراني
٩ ـ مقدمة كتاب الزكاة / آية اللّٰه الميلاني
١٠ ـ تحرير الوسيلة / الرسالة العملية للامام الخميني /
جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم